الملاحق

- عرض وثيقة معراج محمد
- نماذج من نظائرها فى المأثورات

obeikandl.com

obeikandl.com

معراج محمد

الفصل الأول :

بينما كان محمد فى بيته بمكة ، على فراشه مع زوجته أم هانئ ، يتأمل فى شريعة الله ، بين النائم واليقظان ، إذ جاءه جبريل على غرة ، بوجه ناصع البياض ، وشعر أشد حمرة من المرجان ، وحواجب مزججة ، وفم جميل ، وأسنان صافية ، وكان يرتدى حللا بيضاء نفيسة مرصعة باللآلىء والأحجار الكريمة ، وقد شد على خصره شريطين من الذهب يتعامدان عند مجمع صدره وخصره ، وكانت يداه حمراوين كاللهب ، وجناحاه وقدماه أشد خضرة من الزمرد .

اقترب منه وقال له « انهض يا محمد ، ضع نطاقك وائتزر فى إثرى ، فإن الله أراد أن يريك هذه الليلة أسرار قدرته وآياته » فينهض ويضع رداءه ، ويمضى إلى عتبة بيته حيث كان الملك فى انتظاره .

الفصل الثانى :

وعندما يسلم عليه يلاحظ الرسول أن جبريل ممسك بزمام البراق ، وهو دابة أكبر من الحمار وأصغر من البغل ، له وجه إنسان ، وعرفه من اللؤلؤ ، وجبينه من الزمرد ، وذيله من الياقوت ، عيناه أبهى من الشمس ، وأقدامه وحوافره مثل الجمل ، وجسمه كله يشع نورًا وبهاء ، أما سرجه ومقعده فهو من اللؤلؤ والياقوت والزبرجد ، وكان محوطا بزمرة من الملائكة الحفظة .

ويدعو جبريل الرسول كى يركب البراق ، لكنه عندما يقترب منه ينفر ويأبى ، فيأمره جبريل أن يذعن ويصبح ذلولاً له ، إذ أنه أول إنسان يركبه ، فيسأله البراق عمن يكون ، فيجيبه الملك بأنه محمد ، عندئذ يهدأ البراق ويذعن له ، فيمتطيه محمد ، ويبدأ فى السير نحو المسجد الأقصى بالقدس بخطوات تبلغ من اتساعها درجة أنه يضع رجله على أبعد مدى يدركه طرفه .

الفصل الثالث :

وكان جبريل يمضى إلى جواره ، وهو يبشره بما ينتظره من مكرمات ، وفى الطريق يسمع محمد صوتا يناديه برفق مرة واحدة ، لكنه يمضى فى طريقه لا يلوى على شىء ، ثم لا يلبث مرة أخرى أن يسمعه وهو يناديه صائحا مرتين لكن محمدًا لا يلتفت إليه ولا يأبه له . وبعد هنيهة طويلة يرى امرأة ، أجمل من وقع عليها نظره ، وهى ترتدى

حللا مبرقشة بكل الألوان ، فتناديه بصوت عذب رخيم ثلاث مرات ترجوه أن ينتظرها ، فيتوقف ، لكنها عندما تقترب منه وتهم بأن تكلمه يصدّ عنها وينصرف إلى طريقه . ويشرح له جبريل بعد ذلك أن الصوت الأول كان شريعة اليهود ، ولو كان قد رد عليه لأصبحت أمته من اليهود ، وأن الصوت الثانى كان شريعة المسيح ، ولو أجابه لتمسحت أمته ، وأما المرأة الجميلة المزينة بكل الألوان والتى نادته ثلاث مرات فهى الدنيا المليئة بالمتاع ، ولو أجابها لنعم قومه بزينة الحياة الدنيا التى لا تحصى ، أما وقد صدّ عنها فإنه سيكون أطهر الأنبياء وأخلصهم من الذنوب والآثام .

ثم ما لبث جبريل أن انتهى بى إلى المسجد الأقصى ، وأنزلنى أمامه على الصخرة السوداء ، حيث كان ينزل الأنبياء ، ثم ربط زمام البراق فى الصخرة وأخذنى من يدى ودخل بى المسجد .

الفصل الرابع :

فوجدت بالداخل كل الأنبياء وقد اصطفوا واقفين فى دائرة المسجد ، فقد بعثهم الله من مراقدهم وجاء بهم تشريفًا لى ، وعندما رأونى قادمًا تأهبوا للصلاة ، وعندئذ قال لى جبريل : « تقدم أنت لتؤمهم ، فأنت سيد جميع الأنبياء والمرسلين وخير خلق الله أجمعين » فتقدمت للصلاة بهم ، وعندما أديت الصلاة سلّموا جميعًا علىّ معظّمين ومعانقين لى بفرح عظيم ، وأخذوا يسألوننى عما أعتزم عمله متمنين لى مزيدًا من توفيق الله ونعمته وشرفه .

الفصل الخامس :

قادنى جبريل بعد ذلك إلى خارج المسجد وأرانى سلمًا يمتد من السماء الأولى إلى الأرض ، وكان مشهدًا رائعًا ، فقد كان يرتكز على الصخرة السوداء ، أما درجاته فقد كانت أولاها من ياقوت ، وثانيتها من زبرجد ، وثالثتها من لؤلؤ ناصع البياض ، وبقيتها كل درجة من حجر نفيس مختلف ، وكانت كلها مغطاة بسماط أخضر ، ومحوطة بالملائكة الحفظة ، وكانت من البهاء والإشراق بحيث تعشى البصر .

وأخذ جبريل بيدى إلى الدرجة الأولى وأهاب بى أن أصعد ، فصعدت وهو برفقتى المرقاة ومعنا كل الحفظة من الملائكة .

الفصل السادس :

وفى عروجى رأيت ملكًا عظيما جالسًا على كرسى وبيده لوح كبير يبلغ طوله ما بين المشرق والمغرب ، وعلى يمينه جموع من الملائكة تلمع وجوههم كالقمر ليلة البدر ،

تعطيهم أردية أشد خضرة من الزمرد ، وتفوح منهم رائحة المسك والعنبر ، وعلى يساره جموع أخرى أشد سوادًا من الحبر ، عيونهم حمراء كاللهب . ورائحتهم نتنة كريهة ، أصواتهم كالرعد ، وقد بلغوا من القبح مداه .

أمرني جبريل أن أسلّم على هذا الملك ؛ لأنه من الملائكة المقربين لله ، فسلمت عليه ، فرد عليّ بإيماءة من رأسه فحسب . حدقت فيه النظر فرأيته ينظر مرة إلى اللوح وأخرى إلى العالم وعجبت من طاعته لله . لامه جبريل لأنه لم يرد على السلام مع أنه يعلم أني محمد نبي الله ورسوله وأني قد بعثت ، فما لبث عندئذ أن حياني وأخبرني أنني أشرف رسل الله وسيد كل العالمين ، وبعد دعوة قصيرة قال إن أمتي ستكون أطول الأمم بقاء على الأرض ، لما خصها الله به من فضل وحب .

الفصل السابع :

وقال لي جبريل إن هذا ملك الموت ، فسألته حينئذ كيف ينزع أرواح الناس من أجسامهم عندما يحين أجلهم ، فأخبرني أن الله منذ خلق آدم عليه السلام وقد كلفه بهذه المهمة إلى يوم القيامة ، وأنه لن يبقى عليها من أحد إلا الله وهو ، ثم يقبض الله روحه ويظل حيًا إلى الأبد ، ثم أخبرني أيضًا أن قبض أرواح الخلق في نفس الوقت ليس فيه مشقة عليه عندما يموتون ؛ أحدهم في المشرق والآخر في المغرب ، لأن العالم كله ليس إلا مثل الحبة في قبضة يده ، وعندما يموت خلق كثير في المعارك الكبرى فإنني أقبض أرواحهم دفعة واحدة ، مناديًا الأرواح بصوت عظيم فتأتي إلى يدي ، فإذا جاءت إلى حضرتي عرفت من وجب لها أن تذهب إلى الجنة ومن حقّ عليها أن تمضي إلى الجحيم ، فعندي في هذا اللوح المحفوظ أسماء كل من خلق على وجه الأرض وما قدر لهم بعد الموت من خير أو شر .

الفصل الثامن :

ثم قال لي : أعلم أنه عندما يحين أجل من مصيره الجنة أرسل إليه ملكًا من على يميني جميلا زكيّ الرائحة حتى يقبض روحه بكلمات طيبة وعزاء جميل ويحضرها إليّ برفق ، فآخذها بدوري وأسلمها لأجملهم الذي يرفعها إلى الله عبر السماوات ، فيأمر الله ملكا من ملائكة النور أن يأخذها ويضعها في حلق طائر أخضر يحملها إلى الجنة . أما عندما يموت أحد الأشرار فإني أرسل له ملائكة من على يساري قباحًا مرعبين ، ينزعون روحه بغلظة وكلمات قاسية مخيفة ، ويحضرونها إليّ ، فأعطيها لأشد الملائكة فظاظة وبشاعة

يحملها إلى السماء ، لكن عندما يصل إلى أبوابها تغلق من دونه ويرفض حسبما جاء فى القرآن الكريم .

الفصل التاسع :

مضينا إلى الأمام ، وفى الطريق رأينا ملكًا هائلا بلغ من ضخامته أن قرعت رأسه السماء وتدلت رجلاه فى الفضاء ، شعره طويل مسدل على أكتافه ، وكان جناحاه من كل الألوان الجميلة التى لم تقع عليها أبدًا عين إنسان . وكانت خلقته على هيئة ديك ، وقد علّمه الله أوقات الصلاة ، فعندما يحين أوانها ينبعث صوت من السماء يأمر الخلائق أن تسبّح بحمد الله وحينئذ يهتف هذا الملك بصوت مرتفع : « تبارك الله القدوس ، مالك جميع النفوس » فتجيبه ديكةُ الأرض وتصيح كلها داعية الناس لحمد الله وتسبيحه .

ومضينا إلى الأمام ، فرأيت ملكًا آخر نصفه من نار ونصفه من ثلج ، فلا النار تذيب الثلج ولا الثلج يطفئ النار ، وقد أخذ يضرع إلى الله ويدعوه أن يؤلف بين قلوب عباده مثلما جمع فيه بين النار والثلج. ورأيت أيضًا ملكًا آخر ، لايبلغ الوصف مدى عظم خلقه، فأردت أن أسلم عليه ، لكنه لم يرد علىّ لأنه كان مشغولا بالصلاة والتسبيح بحمدالله، حتى أخبره جبريل بأننى محمد وأننى قد بعثت ، عندئذ التفت إلىّ وحيانى هو وبقيّة الملائكة .

الفصل العاشر :

ومضينا قدمًا فرأينا ملكا آخر هائلا يجلس على كرسى ، وبيده عمود عظيم لو ضرب به السماء والأرض لفلقهما، فلما رأى جبريل هذا العمود أخذ يبكى قائلا لى إن هذا الملك هو خازن النار ، فاقتربت منه لأسلم عليه ، لكنه لم يرد علىّ السلام حتى أخبره جبريل عمن أكون فحيّانى وقال لى إن كل من يذهب من أمتى إلى النار سيلاقى أخف العذاب .

الفصل الحادى عشر :

على وجه هذا الملك كانت تبدو أمارات الحزن الشديد ، وقال لى إن سبب حزنه وأسفه هم هؤلاء العُصاة ، فسألته عن كيفية خلق الجحيم ومن فيها من ملائكة وكيف يعيشون ، فأجابنى بأنه عندما خلق الله الجحيم أوقد فيه النار سبعين ألف سنة حتى صار كله أحمر ، ثم أوقد فوقه نارًا أخرى لمثل تلك المدّة حتى صار أبيض ، وبعد ذلك أوقد فيه نارًا أخرى لمدة سبعين ألف سنة حتى صار كله أشد سوادًا من الليلة الحالكة . هذه النار تصطلى دائما من نفسها بشدة دون أن ينبعث منها أبدًا لهب . أما ملائكة الجحيم فقد خلقوا من النار وهم يتغذون بها ، ولو خرجوا منها لحظة لماتوا مثل السمك إذ يخرج

من الماء ، كما خُلقوا صما بكمًا كي لا يسمعوا أنين من يسومونهم سوء العذاب ، وجعلت فى قلوبهم قسوة وغلظة بحيث لا ترقّ ولا تتحرّك بالرحمة للمذنبين وهم يضربونهم بهراوات حديدية غليظة .

ونترك هذا الملك مفعمين بالرعب ونستمر فى طريقنا حتى نطرق السماء الأولى التى تسمى بسماء القمر .

الفصل الثانى عشر :

كانت السماء الأولى من حديد ، عرضها بمقدار مسيرة خمسمائة عام وبينها وبين السماء الثانية نفس القدر ، ونادى جبريل على الباب ففتح لنا ملك يبلغ طوله وعرضه ألف عام من مسيرة البشر . ورأينا أبواب السماء ، بالغة الجمال ، وكثيرًا من الملائكة الذين يحرسونها وهم يتقلبون فى أعطاف الزينة والبهاء ، وأراد جبريل أن يلج أحد هذه الأبواب ، فسأله ملك عما يريد ومن معه ، فأجابه بأنه محمد خاتم الأنبياء وسيد المرسلين ، وأنه يريد الدخول ، عندئذ فتحت لنا فجأة كل الأبواب ، ومن الداخل سلّم علينا جميع الملائكة وهم يشيرون لنا لنرى العجائب العظيمة . كان لكل منهم وجه إنسان وجسم بقر وجناح عقاب ، وكان عددهم سبعين ألفًا ، لكل منهم سبعون ألف رأس ، لكل رأس سبعون ألف قرن ، لكل قرن سبعون ألف جزء ، بين كل جزء وآخر مسافة أربعين سنة ، فى كل رأس سبعون ألف وجه ، فى كل وجه سبعون ألف فم ، فى كل فم سبعون ألف لسان ، كل لسان يعرف الكلام بسبعين ألف لغة ، ويسبح بحمد الله كل يوم سبعين ألف مرة .

وبينما كنا نتعجب من هذه الآيات البديعة رأينا وسط الملائكة رجلين بالغى الجمال جالسين على مقاعد من نور ، شعرهما ولحيتهما أبيض من الثلج ، وقد ارتديا حللا ناصعة البياض تكاد تعشى من ضوئها الأبصار ، وتحيط برأسيهما هالات من النور والبهاء ، وقال لى جبريل إن أحدهما هو يحيى بن زكريا والثانى هو عيسى بن مريم روح الله وكلمته ، فاقتربت منهما وسلمت عليهما ، فلما عرفا أننى محمد ردّا لى التحية والسلام .

الفصل الثالث عشر :

ومضينا إلى أعلى حتى وصلنا السماء الثانية وكانت كلها من البرونز ، وعرضها ومسافة ما بينها وبين السماء الثالثة مسيرة خمسمائة سنة ، وفتح لنا الباب ملك هائل بلغت رأسه السماء السابعة وهوت قدماه إلى أعماق الأرض ، وقد أخذ هذا بيدى وأدخلنى هذه

السماء ؛ وهناك رأينا ملائكة أحجامها أضخم سبعين ألف مرة من ملائكة السماء الأولى ، فسلموا علىّ بعد أن عرفوا من أنا ، وبينما كانوا يحدثوننى عن عجائب الله وآياته رأيت بينهم شابًا عظيم الجمال فائق الحسن والبهاء ، يجلس على كرسى من نور ، ويشع الضوء من شعره وملابسه ، فأخبرنى جبريل أنه يوسف بن يعقوب ، فسلّمت عليه ورد على بترحاب وابتهاج كبير ، ثم واصلنا الرحلة حتى السماء الثالثة .

الفصل الرابع عشر :

كانت كلها من الفضة الخالصة ، سمكها ومسافة ما بينها وبين السماء الرابعة مسيرة خمسمائة عام ، وعندما نادى جبريل فتح لنا الباب ملك هائل مكين يستطيع أن يضع فى كف يده كل العالم وما فيه دون أن يؤثر ذلك عليه أدنى تأثير . ورأينا فى الداخل ملائكة عجبًا ؛ وجوههم مثل البقر وأيديهم مثل القمر ، لا يكفون عن حمد الله وتسبيحه بورع شديد . فسلمت عليهم وردّوا لى التحية وبشرونى بالطيبات الصالحات ، ورأيتهم منتظمين فى مراتب ودرجات وقد احتشدوا فى مواكب صافات متلاصقات لا يمكن لأحد أن يدخل بينهم شعرة واحدة ، وكانت رؤوسهم منكسة إلى الأرض من خشية الله ، وكانوا مستغرقين فى التسبيح والطاعة حتى لو أن أحدهم ذهب من المشرق إلى المغرب لما تحرك الآخرون حتى عودته ولما اضطربت درجته أدنى اضطراب . وكانت جميع صفوفهم المتراصة تسير فى حركة دائرية وهى تسبح بحمد الله وتقدس اسمه .

ورأينا بينهم رجلين جالسين على مقعدين من نور ومتلفعين على رؤوسهما بردائين ناصعى البياض ، فتأملتهما برهة طويلة ، وقال لى جبريل إنهما إلياس وإدريس وقد أنزلهما الله مكانًا عليًا ، حيث لا شغل لهما سوى تسبيح الله وحمده مع الملائكة الصّافات دون أن يكفوا عن ذلك غمضة عين ، فدنوت منهما وحدثهما عنى جبريل فسلما علىّ ، ثم تابعنا طريقنا حتى وصلنا إلى السماء الرابعة .

الفصل الخامس عشر :

كانت كلها من الذهب الخالص ، ومسافة ما بينها وبين السماء الخامسة مثل سمكها مسيرة خمسمائة عام ، وفتح لنا الباب ملك بلغ من ضخامته أن كل المياه العذبة كانت على إبهام يده اليمنى وكل المياه المالحة كانت على إبهام يده اليسرى ، وكان كله من الضوء ، ووجدنا بالداخل سبعين ألف ملك لهم وجوه النسور ، لكل واحد سبعون ألف جناح ، بكل جناح سبعون ألف ريشة ، طول كل ريشة سبعون ذراعًا .

وبينما كنت أتأمل هؤلاء الملائكة رأيت بينهم رجلا عظيم الحسن والوسامة ، يجلس على مقعد من نور ، ثيابه تتلألأ ، وعلى رأسه تاج يعشى بريقه الأبصار ، وأخبرنى جبريل أنه هارون ، وبعد أن سلم علينا واصلت مع جبريل طريقنا حتى بلغنا السماء الخامسة .

الفصل السادس عشر :

وكانت كلها لؤلؤة واحدة أبيض من الثلج ، لها نفس السمك ، وتفصل بينها وبين السماء السادسة نفس المسافة التى كانت لسابقتها وفتح لنا الباب فى الحال ملك كله من نار ، له سبعون ألف ذراع ، لكل ذراع سبعون ألف يد ، لكل يد سبعون ألف إصبع ، وكل إصبع يسبح بحمد الله سبعين ألف مرة فى اليوم . وفى الداخل وجدنا ملائكة ذات أجسام كريمة نبيلة ، لكن رؤوسهم مثل النسور ، وأجنحتهم تتألق من خالص النور ، لا يكفون عن تسبيح الله وحمده ، وبعد أن تبادلنا معهم التحية رأيت بينهم رجلا عظيم الجمال ، يجلس على كرسى من نور ، وقد لف حول رأسه غطاء من نور ، وفى يده عصا من نور ، فأخبرنى جبريل أنه موسى ، وعندما عرف أننى محمد حياتى بمودة وترحاب ، وقال لى إن الله يريد أن يفرض على أمتى صلاة وصيامًا كثيرين ويجب على أن أضرع إليه أن يخفف عنهم لأنهم لن يحتملوهما ، وقد لاقى هو عناء كثيرًا مع بنى إسرائيل لنفس السبب ؛ إذ لم يكن الله قد خفف عنهم التكليف . فلو فعلت ذلك تبعتنى أمتى وآمنت بى ، وإن لم أفعل كرهتنى أمتى وكذبتنى . ثم افترقنا بعد إذنه ومضينا إلى السماء السادسة .

الفصل السابع عشر :

وكانت من الزمرد الشديد الخضرة ، سمكها ومسافة ما بينها وبين السماء السابعة مسيرة خمسمائة سنة ، واقترب من الباب فيها ملك أكبر من كل السابقين بمقدار سبعين ألف مرة ، من الضخامة بحيث يستطيع أن يبتلع السماء والأرض دون أن يتأثر . وفى الداخل رأينا ملائكة أعظم ممن رأيناهم من قبل سبعين ألف مرة ، وجوههم كالخيل ، وكلهم مسلحون ، لكل واحد منهم سبعون ألف جواد ، لكل جواد سبعون ألف سرج كلها من الزمرد والياقوت واللؤلؤ والذهب والفضة ، وهناك أيضًا كان جواد جبريل ، وكانوا جميعًا منظمين على مراتب بأسلحة شديدة البريق واللمعان ، وقال لى جبريل إنهم جند الله ، وأن عندهم هذه الخيل المسرجة بأمر الله كى يذهبوا عليها فى عون عباده عندما يحتاجون ، وأضاف قائلا إننى سأنزل بهم لأساعدك إذا احتجت ، هذه الخيل لا تأكل ولا تشرب ، وتسبح بحمد الله فحسب .

ورأيت بينهم رجلا يجلس على كرسى من نور تغطيه ثياب أشد إشراقًا من الشمس فى وسط الظهيرة وعلى رأسه تاج من نور ، تحيط به الملائكة ، وتسبح معه بحمد الله ، وقال لى جبريل إنه إبراهيم ، وعندما عرف أننى محمد قال لى إن الله حباني بكثير من نعمته وحبه وفضله علىّ وعلى أمتى ، وطلب منى أن أوصى أمتى بتكرار هذه الكلمات فى الجنة « الحمد لله ، ولا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله » وكلما رددوها زاد نعيمهم فى الجنة . تلك الجنة التى أقيمت حولها الأسوار من الذهب الخالص ، ونصبت فيها الشرفات من فضة ، وملاطها المسك ، تلك الجنة التى وعد بها المتقون من أمتى وأعدت لمن آمنوا بى وبشريعتى ، وبعد ذلك انصرفنا ومضينا إلى السماء السابعة .

الفصل الثامن عشر :

كانت من ياقوت ، سمكها ومسافة ما بينها وبين السماء الثامنة خمسمائة عام ، ونادى جبريل البواب ، فدنا فى الحال ملك لا يمكن لأحد إلا الله أن يبلغ صفته ، ولما صرنا فى الداخل وجدنا ملائكة من الضخامة والروعة بحيث لا يوصفون ، ولا أجرؤ على ذلك لأن الله حرمه علىّ . وكانت أنظارهم ثابتة عليه هو ، لا عمل لهم سوى التسبيح بحمده ، وعندما رأونى رفعوا أصواتهم وكان تسبيحهم من القوة والعظمة بحيث بدا لى أن كل الملائكة السابقين كانوا بالمقارنة بهم شبه نائمين ، وكانت تراتيلهم تسمع عبر السماوات والأرض ، فأخذت أنا وجبريل نبكى من خشية الله .

ثم نهض واحد من بين هؤلاء الملائكة – وهو مؤذن السماء – وأخذ ينادى للصلاة ويقول : الله أكبر ، ثم : لا إله إلا الله ، وبعدها : أشهد أن محمدا رسول الله ، ثم أضاف ، حى على الصلاة ، حى على الفلاح . فطلب منى جبريل حينئذ أن أقيم للصلاة فسجدت لله ركعتين قصيرتين ، فإذا بكل الملائكة الذين رأيتهم فى السماء السبع يخرون على وجوههم ساجدين فى الصلاة معى وقائمين بعدى وهم يدعون الله أن يسبغ علىّ من فضله ونعمته أكثر مما أعد لى . ورأيت من بينهم رجلا جالسًا على مقعد من نور ، ثيابه نور ، وعلى رأسه تاج من بهاء ووجهه يشع الضياء . وقال لى جبريل إنه أبونا آدم . وعندما أخبره جبريل أننى محمد رحب بى أحسن ترحيب وحب وتشريف ، وقال لى إن الله يريد أن يشرفنى فوق كل الناس ، وأردف قائلا : اعلم أن الجنة مغلقة لا يدخلها نبى ولا إنسان آخر حتى تدخلها أنت وأمتك ، ثم اقترب منى حينئذ وعانقنى وهو يضع يده على رأسى ، ودعا لى الله بإخلاص وتواضع عظيمين . ولما انتهينا من الصلاة انصرفنا بعد إذنه وبلغنا السماء الثامنة .

الفصل التاسع عشر :

وكانت كلها من زبر جدة واحدة آية أمام عيون الفانين ، وسمكها مسيرة خمسمائة عام ، ونادى جبريل على الباب فدنا منا ملك أعظم من الشمس بهاء سبعين ألف مرة ، له سبعون ألف رأس ، لكل رأس سبعون ألف وجه ، لكل وجه سبعون ألف عين ، لكل عين سبعون ألف حدقة ، كل حدقة ترتجف سبعين ألف مرة فى اليوم من خشية الله ، فتح لنا الباب ، وفى الداخل سرنا كثيرًا فى هذه السماء حتى وصلنا إلى حجاب من الستائر . قد وضع بين الله والملائكة ، كما كانت هناك أيضًا بعض الدوائر التى تفصل وتحجب ، وحول هذه الدوائر عدد هائل من الملائكة المقربين لا يعلم عددهم إلا الله ، لكننى أستطيع أن أقول إنهم كانوا أكثر من كل الملائكة السابقين سبعين ألف مرة ، يسبحون بحمد الله دون انقطاع ، وعندما اقتربنا منهم ارتفعت أصواتهم بالتسبيح ، ثم دخلنا فى الدوائر والحجب ، فرأينا أن حجب القسم الأول كانت سبعين ستارة كلها من السمط الأحمر الفاقع ، وبعد ذلك سبعون ستارة من المخمل الأخضر اللامع ، ثم سبعون أخرى ، وهكذا تتوالى الحجب والأستار سبعون فسبعون من كل الألوان ، وكلها زاهية لامعة . وبعد أن انتهت هذه الحجب وجدنا سبعين قسما آخر كلها من اللؤلؤ الناصع البياض ، وآخر مثله من الياقوت وآخر من الزبرجد وهكذا سبعين سبعين كلها من الأحجار النفيسة على جميع الأشكال المتصورة ، ثم وجدنا بعد ذلك سبعين قسمًا آخر كلها من الماء ، ومثلها من الثلج والبرد والسحب والضباب والنار والنور من مجد الله وبكل الألوان المتخيلة ، وبين كل هذه الأقسام جموع لا تحصى من الملائكة ، تروح وتغدو بلا توقف وهى تسبح بحمد الله . وبينما كنت أتأمل هذه الآيات مضى جبريل وتركنى وحيدًا .

الفصل العشرون :

لما رأيتنى وحيدًا نشطت وتحمست فى حب الله ، وسرت أخترق هذه الأقسام حتى وصلت إلى العتبات القدسية ، فلما دنوت منها سمعت صوتًا يناديني « اقترب منى يا حبيبى يا محمد » فتقدمت إلى الأمام ، وتكرر فى مسمعى الصوت مرة أخرى فزدت تقدمًا ، ثم تكرر الصوت مرة ثالثة وأضاف : « اعلم يا محمد أنك عندى أشرف الناس وأسمى المخلوقات من الانس والجن والملائكة » عندئذ اقتربت أكثر ودنوت حتى لم يبق بينى وبين الله إلا قاب قوسين أو أدنى ، وبعد أن سلم علىَّ وسألنى عن أمتى فرض علينا الصيام ستين يومًا فى السنة والصلاة خمسين مرة فى اليوم ، ثم

عدت بعد ذلك حتى قابلت جبريل ثانية ، وفى الطريق رأيت كرسى العرش وقد اتصل بالسماء حتى بدا لى أنه خلق معها ، كان كله من نار ، وبه العناصر الأربعة ، النار والهواء والماء والتراب والعالمين والجنة والجحيم ؛ كلها خلقها الله فى نفس الوقت مع كرسيه الذى وسع كل شىء وأشع أعظم الضياء ، ومعها خلق الله اللوح المحفوظ ، طوله مسيرة ألف عام ، وكله من اللؤلؤ الأبيض وحوافه من الياقوت ووسطه من الزبرجد ، وكل ما خط عليه من كتابة فهو مسجل بالنور الخالص ، ينظر الله إلى هذا اللوح مائة مرة كل يوم ، وفى كل مرة يمحو الله ما يشاء ويثبت ، يحيى ويميت ، يعز من يشاء ويذل من يشاء ، وقد خلق الله مع اللوح قلما من نور ، طويل عريض ، يبلغ مسيرة خمسمائة سنة ؛ وأمره أن يكتب كل علمه وخلقه الذى كان منذ بدء العالم إلى منتهاه ، فامتثل لأمره ، وسجل بخطه الناعم الرقيق السريع كل شىء .

الفصل الواحد والعشرون :

الملائكة الذين يحملون عرش الله خلقوا مع العرش ، وتبلغ مسافة ما بين رؤوسهم وأكتافهم حجم العرش الذى لا يبلغ الوصف مداه ، ولكل واحد أربعة وجوه ، وجه من الأمام والآخر من الخلف والثالث والرابع على اليمين والشمال ، ولهم أيضًا أربعة أشكال ، شكل إنسان وعقاب وأسد وثور ، وكل أجسامهم مغطاة بعيون ، ولكل واحد ستة أجنحة ، اثنان للطيران ، واثنان لتسبيح الله يخفقهما ، والآخران من لهب لتغطية وجوههم ، لا يكفون عن حمد الله والثناء عليه وهم يرتلون « سبحان الله وسع كرسيه السماوات والأرض » وللكرسى أربعة قوائم ، كل قائم أطول سبعين ألف مرة من مسافة ما بين السماء والأرض ، وأما داخله فإن السماء والأرض والعالم كله تبدو كأنها حبة خردل فى كف اليد بالنسبة له ، ولا يعرف الملائكة أنفسهم على أى بعدهم من الله ، ويفصل بين هؤلاء والملائكة الآخرين الذين يحملون السماء ثلاثة أقسام أو بيوت ، فى الأول سبعون ستارة كلها من السحاب ، وفى الثانى سبعون أخرى كلها من البرد ، وفى الثالث سبعون أخرى كلها من النور الخالص ، كل حجاب عرضه ومسافة ما بينه وبين الآخر مسيرة خمسمائة سنة ، ولو لم يخلق الله هذه الأقسام والحجب لاحترقت بنوره العظيم جميع الملائكة الموجودين بالداخل ، أما حملة العرش الأربعة فسوف يبدلهم الله يوم القيامة حيث ينصرفون للدعاء ، فالملاك الذى خلق على هيئة الإنسان يدعو الله من أجل الناس ، والذى على هيئة عقاب يدعو للطيور ؛ والذى

على هيئة الأسد يدعو من أجل الحيوانات المتوحشة ، والذى على هيئة الثور يدعو الله من أجل الحيوانات المستأنسة .

الفصل الثانى والعشرون :

وفى نفس مكان الكرسى رأيت سبعين ألف فئة من الملائكة كلهم على مراتب ، يمضون فى حركة دائرية دائبة حول السماء وهم متقابلون يسبحون بحمد الله ويملأون السماء بأصواتهم ، ورأيت سبعين ألف فئة أخرى كلهم قائمون وقد عقدوا أيديهم خلف أعناقهم يرددون صدى تراتيل السابقين مسبحين بحمد الله كذلك . ثم رأيت بعد هذا مائة ألف صفّ من الملائكة قائمين وقد عقدوا أيديهم على صدورهم مغطون بالشعر والريش ، وشعرهم وريشهم يسبح بحمد الله بطرق مختلفة ، ولكل منهم أجنحة ما بين الجناح والآخر مسيرة ثلاثمائة سنة ، ونفس المسافة ما بين الأذن والكتف ، وما بين المنكبين مسيرة خمسمائة سنة ، ومن كعب القدم إلى الركبة مسيرة مائتى سنة ، والركبة نفسها مائة سنة ، ومن الركبة إلى العجز ثلاثمائة سنة ، وبين كل ضلع وآخر مسيرة مائتى سنة ، ومن الكف إلى المرفق ثلاثمائة سنة ، ومن المرفق إلى الكتف ثلاثمائة سنة كذلك ، وراحة أيديهم يمكن أن تتسع لكل جبال الأرض وسهولها دون أدنى مشقة . ثم رأيت عجائب أخرى ، فحملة العرش من الملائكة يبلغ طول كل واحد منهم مائتين وسبعة عشر ألف عام من مسيرة البشر ، وعرض أقدامهم سبعة آلاف سنة ، ولكل واحد منهم عدد لا يحصى من الوجوه والعيون ، وعندما يحملون السماء يقولون راكعين « لا إله إلا الله جلت قدرته على ما سواه » أما وهم قائمون فإن أقدامهم تنفذ من أقطار السماوات والأرض حتى تصل إلى الريح الذى يقع أسفل منها بخمسمائة عام ، وفى تسبيحهم لا يكفون عن تكرار ما سبق والدعوة بصفة خاصة لعباد الله من المؤمنين والمؤمنات .

الفصل الثالث والعشرون :

وبعد أن انتهينا من رؤية ذلك هبطنا إلى السماء السابعة حيث يوجد الملائكة المقربون من الكروبيين ، ورأيت أنهم لا يحصون عددًا ، وكانوا يسبحون بحمد الله بأصوات بلغ من ارتفاعها أن أهل الدنيا لو سمعوا صوتا واحدًا منها فحسب لماتوا من الخوف ، وكلهم مختلفون فيما بينهم فى اللغة والصورة والأعضاء وحتى فى دعواتهم . وبلغوا من الاستغراق فى طاعة الله أنهم بعد أن خلقوا لم يلتفت أحد منهم برأسه أبدًا إلى جاره بل إن رؤوسهم منكسة دائمًا إلى أسفل ، ورأيت سبعين ألف صنف من الملائكة بلغت

ضخامتهم إلى درجة تجاوزت فيها رؤوسهم السماء السابعة وأقدامهم مغروزة إلى أسفل فى الفضاء ، بين هؤلاء السبعين ألف كان هناك تسعة كل واحد منهم أكبر من الآخرين تسعين مرة . ولم يكن بين رؤوس هؤلاء الملائكة ومناكبهم أدنى مسافة ، وهم يشبه بعضهم بعضا إلى درجة أنه ليس ثمة أى فارق يميزهم ، على أن المسافة بين كل صف وآخر تبلغ مسيرة خمسمائة عام .

الفصل الرابع والعشرون :

هذه الصفوف التسعة من الملائكة كانوا يلتفّون حول بعض فى حلقات متداخلة ، وبينهم يجرى نهر من الماء لا يعلم منبعه ولا مصبه إلا الله ، وماؤه من الصفاء والإشراق بحيث تحول دون النظر إليه خشية فقدان البصر ، وبعد هذا النهر يوجد نهر آخر عظيم جدًا ، كله مكون من أشد السحب تراكمًا وكثافة ، وبعده نهر آخر من نار ، دائمًا عظيم الاشتعال بنفسه ، وبعد الأنهار هناك جبال من ثلج ناصعة البياض ، وبعدها بحر عظيم يخترق الأراضى السبع ، كله ملئ بالملائكة التى تسكنه ، وكلهم من ضخامة الحجم بحيث لا يبلغ ماء البحر أعجازهم ، وهم يوم القيامة يدعون الله من أجل سمك البحار والأنهار ، كما أنهم لا يعرفون ماذا تحت البحر ولا أين يضعون أقدامهم ، وتصل رؤوسهم إلى سماء العرش . لا يكفون أبدًا عن حمد الله .

الفصل الخامس والعشرون :

وهناك بعد هذا البحر العظيم يوجد بحر آخر من ماء شديد الصفاء ، فيه جموع غفيرة من الملائكة الواقفين ، لا يكفون عن قول « لا إله إلا الله » حتى يوم القيامة ، وقد وقفوا صفوفًا متراصة متلاصقة مثل جدران مدينة أو قلعة متصافة ، ومن العجائب الأخرى أن هذه السماء كانت تحوطها أربعة أنهار . أحدها عظيم الصفاء يفوق كل الأنوار ما عدا نور الله ، وآخر ماؤه أبيض من الثلج بلغ من الصفاء إلى درجة أن يرى الإنسان قاعه على عمقه الذى لا يصدق ، وكل رماله من الأحجار النفيسة ومنه تتبع أنهار الجنة ، وبعده يوجد نهر آخر من الثلج المتألق ، وآخر ماؤه خالص لذيذ الطعم ، ملئ بالملائكة يروحون ويغدون على أقدامهم وهم يسبحون بحمد الله ، على أن رؤية هؤلاء الملائكة وتلك الأنهار وما عداها لم تحل بينى وبين رؤية سماء العرش .

ومن الآيات الأخرى أن سماء العرش بها من الألسنة ما يزيد سبعين ألف مرة على ألسنة جميع المخلوقات فى كل السماوات الأخرى والأرض والعاملين ، كلها ألسنة لا تكف عن حمد الله وتسبيحه وتقديسه بجميع أنواع اللغات .

الفصل السادس والعشرون :

وعرفت بعد ذلك أن الله كان قد خلق ثمانية عشر ألف عالم ، وأن هذا العالم الذى نعيش فيه واحد منها فحسب ، وفى هذه العوالم ألف نوع من المخلوقات عدا الإنسان والشياطين والجن ويأجوج ومأجوج ، وهى مخلوقات بين الإنسان والشيطان ، كلها بأعداد لا تحصى ، من هذه الأنواع يوجد أربعمائة فى الأرض وستمائة فى البحر . وبالإضافة إلى ذلك فإن كل السماوات غاصة بالملائكة المزدحمين إلى درجة أنه لا يمكن لأحد أن يضع بينهم شعرة واحدة ، بعضهم واقفون وآخرون جالسون أو ساجدون بوجوههم على الأرض يسبحون بحمد الله ويخفقون بأجنحتهم من خشيته .

الفصل السابع والعشرون :

ثم ذهب بى جبريل بعد ذلك إلى أرض كلها بيضاء ، بياضها خارق للعادة ، مليئة بمخلوقات من صنع الله ، ومن أجناس لا تحصى ، لا يخرجون أبدا عن طاعة الله ولا لغمضة عين ، ولا يمكننى القول إن كانوا آدميين أم لا ، ولا إن كانوا من الشياطين أو يعرفون شيئًا عنها ، فقد حرم الله على ذلك .

الفصل الثامن والعشرون :

ولما عدت من هناك ؛ حملنى روح الله عبر السماوات وهو يرينى فى لحظة ما لا يرى إلا بعد تمهل طويل ، حتى وجدت جبريل ومعه إسرافيل الذى هبط بأمر الله كى يرينى الأرضين السبع التى تحيط بالأرض البيضاء المذكورة ، ولما هبطت وجدت ملكًا اسمه القطروفين بيده قلم من نور طوله مسيرة خمسمائة عام ، ينبثق منه مداد من نور ، والقلم يعرف سبعين ألف لغة لا يفهمها إلا الملك الذى يعرفها ويعرف عددًا آخر مثلها من اللغات التى يجهلها القلم .

الفصل التاسع والعشرون :

وأرانى جبريل وإسرافيل ديكا قريبًا من الله ؛ وعرفه ورأسه يصلان إلى سماء العرش ورجله فى أعماق الأرض السابعة ، هذا الديك من ملائكة الله ، وهو دائمًا يسبح بحمده ، وجناحاه هائلان لو فتحهما لنفذ بهما إلى جميع أقطار السماوات والأرض من المشرق إلى المغرب ، وعندما ينتصف الليل يفتح جناحيه ويهزهما قائلا « لا إله إلا الله » فلا يكاد ينتهى من صياحه حتى تصيح ديوك الأرض وتهز أجنحتها ، فإذا سكت سكتت . وعندما يزغ الفجر يكرر صيحة منتصف الليل وهى تجيبه ، وهكذا يحدث فى كل ساعات

صياحه ، أما ريشه فغليظ أعلاه ناصع البياض ، صغير أسفله رائع الخضرة لا يشبع الإنسان من رؤيته أبدا .

ورأيت بعد ذلك ملكًا آخر أمام الله نصفه من ثلج ونصفه الآخر من نار ، فلا الثلج يطفئ النار ولا النار تذيب الثلج ، وهو دائمًا مائل فى حضرة الله يدعوه ويضرع إليه بلا كلل أن يجمع قلوب العباد على طاعته مثلما جمع فى خلقه بين الثلج والنار دون أن يمس أحدهما الآخر . وحول هذا الملك رأيت ملائكة آخرين يسبحون بحمد الله بأصوات عالية ؛ عددهم لا يحصى ، ووجوههم وعيونهم شاخصة دائما إلى الله سبحانه وتعالى .

الفصل الثلاثون :

بعد أن رأينا كل هذا عدت مع جبريل إلى سور الجنة ، فلاحظت أن أحجاره الضخمة المربعة كانت شديدة الاختلاف فيما بينها ، فبعضها من ذهب ، وبعضها من فضة ، وآخر من ياقوت يتوسط بين الذهب والفضة ، وكان ينبعث من السور بريق هائل يخطف الأبصار ، أما الملاط الذى يمسك بهذه الحجارة فقد كان من المسك والعنبر المذاب فى ماء الورد ، له شذى لا يضاهى به شىء آخر ، وعرفت أنه لا يمكن لأى فان أن يقيس ارتفاع السور الذى لا يعلمه إلا الله . وقال لى جبريل إنه لم يعبر هذا السور من قبل أى مخلوق من الملائكة أو الإنس أو الشياطين أو الجن ، لأن الجنة مصونة عن أنظار جميع المخلوقات ؛ وأننى سأكون أول من يراها . وأن بالداخل جنة الخلد التى يوزع الله تعالى نعمها على صور كثيرة حسب ما يستحقه ثواب عباده وأنه سيعرفنى بها ؛ وقد صنعها الله بيديه نفسها ؛ وليس بينه وبينها سوى حجابين ، وهى أشرف وأنفس الجنات كلها ، فاقتربت مع جبريل من الباب ، وكان البواب يعرف اسمى ورسالتى ففتح لنا ودخلنا .

الفصل الواحد والثلاثون :

ولما صرنا بالداخل أخبرنى جبريل أن عرض الجنة مثل السماوات والأرض جميعًا لكن طولها لا يعلمه إلا الله ، وأنه عندما يبدل الله السماوات والأرض يوم القيامة فإن مكانها سيصبح هواء ، وسيجر بيده هذه الجنة وأخرى معها ، جنة عدن التى خلق الله فيها آدم ؛ فتجر بدورها باقى الجنان وتقرب حتى لا يكون بينها وبين العرش سوى سدرة المنتهى ونورها ؛ ومنذ ذلك الحين فإنها تمتلئ جميعا بالنور وتعمرها الملائكة يوم الخلود . وأخبرنى جبريل بعد ذلك أن الله لما خلق جنة عدن ملأها بكل شىء ، وخلق

بداخلها جنانا أخرى بين السماء والأرض أقصى من مشرق الشمس حتى رفعها إلى أعلى على مسافة ستمائة وثلاثة وستين عاما .

الفصل الثانى والثلاثون :

سألت جبريل عن المسافة بين الأرض والسماء الدنيا فأخبرنى أنها مسيرة ستمائة وثلاث وستين سنة ، فسألته كذلك عن مسافة ما بين سماء العرش والأرض فقال لى إنها مسيرة خمسين ألف عام من أعوامنا وشهورنا وأيامنا . وقال لى إنه لا ليل هناك ولا شمس ولا قمر ولا نجوم ، وهكذا أدركت أن مسافة ما بين كل سماء وأخرى مسيرة ألف عام ، وأننا إذا جمعنا مسافات كل السماوات والحجب وجدنا مسيرتها اثنتين وأربعين ألف سنة .

الفصل الثالث والثلاثون :

أما الجنة التى كان فيها آدم فقد وجدتها على النحو التالى : من ناحية المشرق كلها مغطاة بالأشجار الوارفة الظلال ، يتلوها نهر عظيم تنبع منه جميع أنهار الدنيا ، ويسير على تراب مصر ويسمى النيل ، فإذا كان فى الجنة فهو من عسل ، أما إذا خرج منها فإنه يتحول إلى ماء ، ثم رأيت نهرًا آخر عظيما يسمى الفرات ، يجرى لبنًا فى الجنة ويتحول خارجها إلى ماء ، ونهرًا آخر اسمه جيحان كله فى الداخل من خمر وفى الخارج ماء ، كما رأيت نهرًا آخر مثلها فى العظمة اسمه سيحان من ماء صاف ومذاق لا توصف لذته . ومن هذه الأنهار الأربعة يجرى العسل ناحية المشرق واللبن ناحية المغرب والخمر ناحية الجنوب والماء ناحية الشمال .

رأيت بعد ذلك على باب الجنة مكتوبا « أنا الله لا إله إلا أنا ؛ وكل من يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله فقد عصم نفسه من النار على ذنوبه » .

الفصل الرابع والثلاثون :

وبينما كنا نسير فى هذه الجنات ، رأيت أنها قد خلقت على أشكال وهيئات مختلفة بعضها عن بعض ، لتشريف وتمجيد من يختارهم الله لنعمته ، وأن لها أسماء مختلفة ، منها جنة عدن » التى خلق الله فيها آدم و « دار القرار » و « دار السلام »و « جنة المأوى » و « جنة الخلد » و « جنة الفردوس » و « جنة النعيم » وهذه السابعة قلعة الجنان وقصبتها فهى تشرف عليها جميعا ، ومنها يأتى الله عندما يزور عباده فى الجنة فهى داره الخاصة . عند هذه الجنة رايت عمودين عظيمين ، أحدهما من الزبرجد والآخر

من الياقوت ، طولهما وعرضهما لا يحيط به العقل ، ومسافة ما بينهما ما بين المشرق والمغرب ، وقد ملئت هذه المسافة نورًا خالصًا ، وهما يقومان على مدخل هذه الجنة ، أما الجنات الأخرى فهى من نور كذلك ، وفيها كثير من المدن والقلاع النورانية ، وكثير من البيوت والأبهاء والأروقة والحجرات التى كلها من نور ، وهناك أشجار من كل صنف ونوع ، وثمراتها أبهى من الياقوت والزمرد ، وأوراقها لا توصف ، وتجرى تحت هذه الجنات أنهار من لبن لم يتغير طعمه وخمر لذة للشاربين ، وانتصبت على حواف الأنهار بيوت جميلة وحجرات رائعة لا يبلغ الوصف مداها .

الفصل الخامس والثلاثون :

ورأيت كذلك فى هذه البيوت والحجرات التى تقوم على شواطئ الأنهار أجمل وأنقى النساء اللاتى يمكن أن يحلم بهن إنسان ، عيونهن حوراء رائعة الحسن والعطف والحنان ، يحلين رؤوسهن بأحجار كريمة ، وكل ثيابهن من نور ، وقد عقدت كل واحدة منهن على خصرها شريطين من لؤلؤ مضمخ بالمسك والعنبر ، تفوح منها رائحة تشفى أكثر المرضى سقمًا واعتلالا ؛ كلهن جالسات بجوار بعضهم ؛ ينشدن ويغنين بأنغام أصفى وأحلى من كل صوت أو موسيقى آدمية قائلات « نحن العذارى الخالدات بلا دنس ، ونحن الناعمات فلا نيأس ، ونحن الراضيات فلا نسخط ، خلقنا لأزواج كرام ، فطوبى لمن كان لنا وكنا له » ، وبينما يغنين تبدو أسنانهن أبيض من البرد المنضد ، وأفواههن أدق وأشد حمرة من الياقوت ، ويبدو عليهن الوله والعشق لأزواجهن فى الجنة ، حتى قبل أن يعرفنهم ، وهن مقصورات لا يجرؤ أحد أن يطلع عليهن ، ولو كان الشيطان نفسه ، فلا تبدو الحورية إلا لصاحبها الذى خصصت له ، وكلما جاءهن أزواجهن وجدنهن عذارى أبكارًا لم يمسسن من قبل مثل المرة الولى ، وقد كتب على صدر كل واحدة منهن اسم صاحبها ، وعلى صدر كل واحد من الأزواج اسم صاحبته . وقد بلغن من التنعّم والرفاهية بحيث يرى مخ ساقهن من وراء الدم واللحم والعظم كما ينظر الواحد إلى السلك فى قصبة الياقوت ، وما يفكرن فيه يبدو دائما لعيان أزواجهن ، وعلى كل واحدة منهن سبعون ألف حلة ، بعضها فوق بعض . ذات أكمام ضافية مثل أكمام القسس الذين يؤدون الشعائر فى الكنائس ، وكلها من الذهب الخالص والألوان العديدة ، وهى خفيفة عليهن كأنها قميص شفاف رقيق .

الفصل السادس والثلاثون :

والآن سأقول لكم صفة الجنات ، أولاها جنة النعيم وهى بيت الله الخاص ، حديقة

زاخرة بكل النعم التى لا تخطر على قلب بشر ، وجدرانها من الياقوت عالية كالأبراج التى تحمى البيوت فى الداخل ، وفرشها وأغطيتها من لؤلؤ ، وكذلك درجاتها وأوانيها وأبواب بيوتها ، وفى داخلها حوريات مدلهات ، أكثر جمالا ومرحا من السابقات ، وبها حجرات من الياقوت والزبرجد واللؤلؤ والأحجار النفسية الأخرى مرصوصة كلها على حواف بعض العيون التى تنبع هناك من خمر وماء على كل لون ومذاق ، وحيث ذهبت تتردد الأنغام العذبة والموسيقى والأناشيد التى تتغنى بها الحوريات وهن متكئات على الأرائك تحت الأشجار الظليلة ، أشجار فروعها جواهر ، وثمارها أشهى وأحلى من كل شىء وتصحبهن فى الغناء والأناشيد أنغام آلات موسيقية لا يبلغ الوصف مدى حلاوتها وعذوبتها . وتحت هذه الحديقة تقوم حديقتان أخريان : إحداهما مرصعة من الخارج والداخل بالأحجار النفيسة ، والأخرى من الذهب الأشقر الخالص .

وقد بنيت جنة النعيم على شكل درجات وصفوف دائرية ، كل صف عرضه مسيرة مائتى سنة ، درجة من ذهب وأخرى من فضة وثالثة من ياقوت ورابعة من زبرجد وخامسة من لؤلؤ وهكذا ، أما الملاط الذى يمسكها فقد عجن بالعنبر والمسك ، وقد أعد الله هذه الجنة للمتقين من عباده ويقول لهم يوم القيامة : اعبروا الصراط المستقيم ، وانعموا بالجنة وما فيها ، واقتسموها كل على قدر فضله ، فقد خلقتها لكم » .

الفصل السابع والثلاثون :

وهناك المزيد ، من سيكون فى أدنى درجات الجنة سيمنح متسعًا من أرضها مسيرة خمسمائة سنة ، وسينعم الله عليه بخمسمائة زوجة وأربعة آلاف من الحور العين الأبكار يختار منهن من يشاء وثمانية آلاف يشب لخدمته ، فإذا أراد أن يعانق إحداهن هرعت إليه بفرح عظيم ورغبة جارفة واستمر العناق ما دام حبه لها دون أن يفتر أو يبعد عنها ، وستوضع أمامها الموائد والمناضد المليئة من الطعام والشراب بما لذ وطاب ، وكل لقمة أو شربة سيكون لها لذة طعام العالم وشرابه أجمع ، ثم يأتى بعد ذلك ملك معه مائة ثوب من ذهب هدية لهم من الله ، ولو خطر لأحدهم أن يذهب إلى جنة الخلد وأراد التنعم بثمارها وفواكه أشجارها قام ملك فى الحال بتقريبها منهم . ولو طلبوا هذا من اول شجرة يجدونها لألقت إليهم سبعين ألف صحيفة بها جميع ما لذ وطاب من لحوم وطيور ، طيور بدون ريش أو عظام ، لم تطبخ أو تشوى على النار ، لذيذة كأن مذاقها مزيج من عسل وسمن ورائحتها مثل العنبر ، يأكلون مرتين فى اليوم حسبما يشتهون ،

وآخر لقمة لها نفس طعم اللقمة الأولى . كل هذا يبعثه الله لهم مع ملائكته ، وعطايا أخرى لا يعلمها إلا هو .

الفصل الثامن والثلاثون :

هذا الأكل يتحول فى أحشائهم وبطونهم إلى بخار يخرج منهم بعد ذلك فى شكل عرق زكى الرائحة ، ثم تفتح لهم الملائكة بابا يفضى إلى جنة أخرى رائعة ، على مدخلها شجرة عظيمة تجرى من تحتها عينان نضاختان صافيتان ، ومن يدخلها يشرب من أحد هذين النبعين فيصبح نظيفًا صافيًا من كل ما أكله دون أن تبقى فيه أية رواسب ، ويذهبون بعد ذلك إلى العين الأخرى ويستحمون فيها وتحل عليهم نعمة من الله وفضل . ثم يعودون إلى الجنة فيجدون فيها غلمانا كأنهم اللؤلؤ المكنون فى بياضه والورد الناضر فى خمرته ، هؤلاء الغلمان يلعبون فى الجنة ويعرفون من يدخلها باسمه ويرحبون به ويبشرونه بما ينتظره من الحوريات والقصور ونعم الله الأخرى التى أعدها له ، ثم يذهب الغلام منهم فى الحال إلى تلك الحسناء التى بشر صاحبها بها ويخبرها بقدومه فتمتلىء غبطة وحبورا وتذهب إلى الباب للقائه . أما من يدخل الجنة فإنه إذا ما رأى سور بيته من اللؤلؤ والأحجار النفيسة وما أعد له من نعيم مقيم فى الغرفات العليا فإنه يوشك أن يغشى عليه من الروعة والسرور ، فإذا ما نظر إلى أسفل ورأى العذارى الأبكار اللاتى سيكن زوجاته والستائر والفرش الذهبية الوثيرة توجه إلى الله بالشكر على نعمه الوفيرة وإلى رسوله بالحمد لأنه هو الذى أخبره بأنه سيرث كل هذا النعيم المقيم .

الفصل التاسع والثلاثون :

وفى الجنة شجرة تسمى شجرة طوبى ، وهى شجرة لذة ونعيم ، جذعها عرضه مسيرة رجل شديد السرعة أكثر من أى جواد يلف حوله مائة عام ، كله من الياقوت ، والأرض التى غرست فيها من المسك والعنبر الأبيض من الثلج ؛ وفروعها وأغصانها من الزبرجد ، وأوراقها من السميط ، وأزهارها قماش من ذهب ، وفواكهها مثل اللآلئ الكبيرة ، تكفى الثمرة الواحدة منها مائة رجل يأكلون منها سنة كاملة ، وطعمها مزيج من عسل وزنجبيل ، أما الحشائش التى حولها فكلها من الزعفران الأخضر الزكى الرائحة ، وتنبع تحتها عيون كثيرة ، كلها من خمر ، وهو الذى يجرى متدفقًا فى أنهار الجنة ، هذه الخمر بعضها أبيض صاف ، وبعضها أحمر مثل الياقوت ، وكلها رائعة شهية لذيذة ؛ وهناك نوعان آخران من الخمر : بعضها حامض مز فى لونه وطعمه ، وبعضها أصفر فاتح مثل الزبرجد . وكلها شديدة قوية فى مذاقها ، هذه هى الينابيع الرئيسية الأربعة

للجنة ، وبالإضافة إليها فهناك أنواع أخرى كثيرة من صنوف الخمر التى تعقب لذة الشاربين .

الفصل الأربعون :

رأيت شجرة أخرى من أفضل وأجمل ما فى الجنة ، يجلس تحتها كل من فى الجنة لسماع الحكايات والقصص التى يرويها لهم ملك خاص ، وبينما جلست أسمعها معهم إذا أنا بموكب من الملائكة قادمين على جمال عقدت فى أعناقها سلاسل من ذهب ، وجوهها مثل القناديل المتوهجة ، ووبرها كالحرير الأبيض المشرب بحمرة ، ذلولة وادعة طائعة ، جاءت محملة بالذهب والفضة واللؤلؤ والأحجار الكريمة ؛ فلما وصل الركب حيث كنا نزل الملائكة الراكبون وأنزلوا ما يحملون من كنوز ووزعوها على الجميع ، وأمروهم أن يركبوا المطايا كى يذهبوا لرؤية الله الذى كان يريد أن يشرفهم برؤيته والحديث إليه ، وهكذا فعلوا ، وساروا صفوفًا متساوية متجاورة منتظمة ، لا تمد مطية رأسها ولا تقدم رجلها عن الأخرى . ولو صادفوا شجرة فى الطريق هبطت ورقدت على الرض حتى لا تخل بنظام السير .

الفصل الواحد والأربعون :

ولما وصلوا إلى حضرة الله سبحانه وتعالى كشف لهم عن وجهه الجميل العظيم ، فقالوا له : « أنت السلام واليك وحدك يعود الشرف والسلام » فرحب بهم وأثنى عليهم لأنهم حفظوا دينه وأقاموا شريعته ، فضرعوا إليه أن ياذن لهم بالسجود ، لكنه أنكر ذلك عليهم وقال « لقد مضى زمان العمل والتكليف وجاء أوان الثواب ، فاطلبوا على قدر ما ترغبون » فطلبوا منه عوضًا عما لم يستمتعوا به فى الأرض أن ينعم عليهم بنظير كل خير ونعمة وجدت فى العالم من بدايته إلى منتهاه ، فأجابهم الله ما أرادوا وزيادة ، فلما رفعوا أبصارهم رأوا قلاعًا وقصورًا شامخة ، كل جدرانها وأبهائها وحجراتها من الذهب والفضة والياقوت والزبرجد وأحجار أخرى كريمة ، وكانت الأبهاء والسرادقات مغطاة بالحرير وموشاة بالذهب ولامعة الألوان ، فالأخضر فيها أشد خضرة من الزبرجد ، والأحمر أشد حمرة من اليلقوت ، وكانت كلها غارقة فى فيض عظيم من النور والبهاء الذى يكاد يخطف الأبصار ويذهب بالنظر لولا أن الله يحول برحمته دون ذلك .

الفصل الثانى والأربعون :

بعد ذلك رأيت هؤلاء الولدان الذين ذكرتهم من قبل ، يجر كل واحد منهم أربعة

خيول وديعة ، على كل منها سرير فاخر ، فوقه هوادج صغيرة من نور وأحجار كريمة ، بداخلها قبة من ياقوت ولؤلؤ وزبرجد ، وتحت القبة يجلس ملك فى الصدارة ، ومن حوله ملائكة كثيرون ، ينتظرون القادمين إلى الجنة ليخرجوا فى استقبالهم والترحيب بهم ، فإذا ما اقتربوا من السرر طلب منهم الملائكة أن يصعدوا إليها ، فإذا ما ستقروا بداخلها طاف بهم الولدان المخلدون فى رياض الجنة النضيرة حتى يصلوا إلى قصورهم وبيوتهم الكبيرة ، فينزلون من السرر ؛ وبصحبتهم الملائكة الذين يدخلونهم فى هذه البيوت ويأخذون بأيديهم حتى يجلسوا ، ويبدأ الملائكة فى الضحك معهم والأنس بهم والحديث عليهم يسمع لذلك ضجيج من مسافة بعيدة ، ويقول لهم الملائكة إنهم لم يضحكوا أبدًا من قبل ولم يلعبوا ولم تنفرج شفاههم بغير التسبيح لله ، وأنهم إنما يفعلون ذلك الآن تشريفا لهم وإيناسا ، ثم ينصرفون بعد ذلك تاركين كل واحد بمفرده فى بيته .

الفصل الثالث والأربعون

لكل منزل باب صغير يفضى إلى نهر من أنهار الجنة ؛ ففيها أنهار كثيرة غير أن هذا النهر الذى أقول لكم عنه الآن أجملها وأروقها وأصفاها ، فعلى ضفتيه تقوم جبال الفردوس وكلها من ياقوت أزرق تخرج من بطنها مناجم الذهب والفضة والأحجار الكريمة التى تنساب بعد ذلك وتجرى فى جداول إلى النهر الذى تصبح حصباؤه من هذه الأحجار الكريمة ، أما الياقوت الأزرق الذى قدت منه الجبال فهو بالغ الشفافية إلى درجة أنك تستطيع أن تخترقه بنظرك وترى ما بداخله . وفى هذه الجبال مسارب أخرى تفضى إلى الحدائق الغناء الواقعة خلفها ، كل طريق من هذه الطرق يفضى إلى حدائق الفردوس الأربع ، اثنتان منها عظيمتا الاتساع ينبع منهما عينان نضاختان جميلتان ، وبهذه الحدائق أشجار جميلة ، ذات ثمار وفيرة يبلغ عددها فى كل شجرة مائة صنف كلها شفاء ، أما الحديقتان الأخريان فهما أقل اتساعا ، إلا أن لكل منهما عين جارية صافية جميلة شفافة .

الفصل الرابع والأربعون :

فى هذه الجنات نخيل شاهق الارتفاع ، وأشجار رمان سامقة جميلة ، فإذا ما أكل الإنسان من ثمارها تلذذ بمذاق كل فاكهة الأرض ، وقد نصبت تحت الأشجار سرادقات وخيام تقطنها الحوريات الأبكار – اللائى اختارهن الله وحفظهن – فلا يستطيع الاقتراب منهن حتى الشيطان نفسه ، جمالهن لا يبلغ مداه الوصف ، يجلسن على حشايا ومطارف وثيرة ، فإذا قدم عليهن من جعلن له من أهل الجنة خرجن للقائه وجذبنه ليجلس معهن .

ثم يأتى الله حينئذ لزيارتهم تحوطه الملائكة ، ويسألهم إن كانوا راضين عن هذه النعم الكثيرة فيجيبونه بأنهم فى غاية الرضا والحبور ، فيبشرهم ربهم بأن هذه السعادة لن تزول عنهم أبدا .

الفصل الخامس والأربعون :

كل من يدخل الجنة يصبح فائق الحسن والجمال ، وقد رأيت بعد ذلك ملكًا على كرسى من نور ، تحيط به ملائكة عديدة تقوم على خدمته ، وقال لى جبريل إنه خازن الجنة واسمه رضوان ، فتبادلنا السلام ، وأبديت له رغبتى فى رؤية كل الجنان ، فأمسك بيدى وطاف بى فيها جميعًا وهو يرينى الأنهار والأشجار والقلاع والقصور ، وجميعها تتلألأ بأنوار تعشى الأبصار ، أرانى بيوتا من ذهب وفضة وياقوت وزبرجد ولؤلؤ ومن كل أنواع الأحجار النفيسة ، وأرانى جبالا تحيط بالجنات وسهولا خضراء وغابات كثيرة جميلة : وبداخل هذه الجبال حظائر مساحتها تزيد على خمسمائة عام ، فيها خيل وبغال من كل الألوان ، ولما اقتربنا منها لنراها بوضوح هرعت جريا من الذعر فأثارت بحوافرها غبارا أزكى من المسك والعنبر اللذين تمتلئ بهما كل الحظائر ، وأخذنى رضوان لحظيرة ، ملئت بالطير الأخضر والأصفر ومن كل الألوان ، كانت عظيمة الحجم زكية الرائحة ، فلما اقتربنا منها وشرعت فى الطيران وقعت تحت قدمى ، وكان بأجنحتها من المسك ما ملأكل الحظيرة بالعطر الفواح ، وأرانى كذلك فيها بيوتا من ذهب وفضة وجواهر ، مقاعدها وسررها وفرشها لم تره عين من قبل ولم تسمعه أذن أبدا .

الفصل السادس والأربعون :

وسار بى إلى الأمام ، فأرانى نهرا يسمى « القطنوم » عرضه مسيرة خمسمائة عام ، أما طوله فلا يعلمه إلا الله ، وهو النهر الذى يحتضن جميع الجنات ، فعجبت لطوله وعرضه ، وعجبت أكثر لما قام على شاطئيه من مساكن ضخمة عظيمة كثيرة ، كلها من قماش ذهبى وسميط ، وهى من البهاء والنور بحيث تخترقها الأنظار . فى هذه المساكن أو الخيام تولد النساء الكرائم ، ذوات الكرامات ، وهن عظيمات الأجسام ، وأهدابهن كأنها قوس قزح ، وجمالهن يعشى الأبصار ، ويشع منهن بهاء ونور يفوق ضوء الشمس ، وهن مقصورات فى خيامهن لا يدخل عليهن أحد أبدا ، يولدن فيها مثلما ينبت الحشيش فى الأرض ، فإذا ولدت إحداهن وكبرت تغطت بشعرها المرسل الجميل ، وأخذت تنمو حتى تلامس رأسها سقف الخيمة ، عندئذ تبدأ تلك السقوف فى التحرك البطىء ، فيعرف الملائكة الحفظة عليهن حينئذ أنهن قد ولدن وكبرن حتى يبلغن حجمهن المقدر

لهن . فيفتح عندئذ كل ملك خيمته ، فيجد وتجد السيدة أمامها القماش المنسوج من الذهب واللؤلؤ وقد خلق ونسج على ما تشتهي وتود ، فإذا ما أخبرها الملك أنه سيحملها إلى الفردوس ترتدى هذه الثياب المطرزة بالذهب والمصنوعة من الحرير على مقاسها .

الفصل السابع والأربعون :

يمسك الملك بيدها ، ويذهب بها إلى القلعة التى يحرسها وهى تلمع ببهائها على مسافة خمسمائة عام ؛ وفى الطريق تتغنى الحورية منشدة :

« طوبى لمن يؤمن بالله ، ويحظى بنعمته وفضله مثلنا » ، ويصف لها الملك الرجل الذى جعلت له فى الجنة ، وهو يسوقها لتنتظره ، فهى تعرف اسمه وتعرف أنه قد قدر لها أن تكون فى المستقبل عروسه وزوجته . وهكذا فإن جميع سكان الجنة إذا أراد أحدهم أن يأكل أية فاكهة من أشجارها فإن أول شجرة يقابلها تمتد له ، فإذا ذاق ثمرتها وجدها طعم الفاكهة التى كان يشتهيها لأن الله قد أخبرها بما يريد ، وعندما يصل الإنسان إلى الجنة يخرج أهلها للقائه بفرح وسرور أعظم مما يشعر به أقرباؤنا عندما نعود بعد حج أو سفر طويل ، فهم يحبوننا أكثر من أهلنا وذوينا فى هذه الحياة الدنيا .

الفصل الثامن والأربعون :

بعد هذا ذهب بى جبريل ورضوان إلى مكان يسمى « سدرة المنتهى » وهو مكان فسيح جدا ، وأرونى شجرة عظيمة رائعة الجمال ، كانت كلها لؤلؤة واحدة ناصعة البياض بكل أوراقها وزهورها وثمارها ، وتحتها تنبع عين من ماء صاف تجل عن المدح ، وقال لى جبريل إن هذه عين النعمة الكاملة ، وأن الله قد خلقها من أجلى وحدى ، ولا يشترك فيها معى أحد .

وبعد أن قال لى ذلك ذهب وتركنى ، لأن الله كان يريد أن يكلمنى وحدى ، فبقى جبريل مع رضوان ، أما أنا فقد تقدمت إلى الأمام .

الفصل التاسع والأربعون :

فمضيت فى الطريق الذى سلكته المرة الأولى حتى وصلت إلى الحجب القريبة من الله ، فأخذت فى الارتفاع ، فكلما مررت بحجاب رفع الآخر من تلقاء نفسه ، لم يكن هناك أحد يمسه بيده ، بل كانت قدرة الله تفعل كل شىء . وعبرت هذه الستائر والحجب ومضيت بعيدا حتى لم يصبح بينى وبين الله سوى حجابين أحدهما من ضباب والآخر من نور ، وفجأة سمعت من خلفها صوتا يتلو آيات من القرآن ويقول ﷺ آمن الرسول

بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون ، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ؛ لا نفرق بين أحد من رسله ﴾ ثم قال الله : يا محمد تلق هذا الكتاب الذى أوحى إليك قرآنا تتلوه على الناس ، فهو أعظم كنوزى فى هذا العالم ، فتلقيت الكتاب من يده وشكرته على هذه العطية . وفى هذه اللحظة لم يكن بينى وبينه أحد ، لا ملك ولاإنسان ، لم يكن هناك إلا هو وحده ، وأنا أمامه وجها لوجه ، فسالنى . يا محمد ، ماذا يعلم أهل الدنيا عن الملأ الأعلى ؟ فقلت يارب أنت أعلم بذلك منى ، فأمرنى أن أدنو منه أكثر ، فارتفعت الحجب التى كانت تفصل بينى وبينه ونزع الله بصرى من عينى وأودعه فى قلبى ، فكنت أرى بقلبى ولا أرى ببصرى ، وأمرنى أن أدنو أكثر ، فاقتربت حتى أصبحت قاب قوسين منه أو أدنى ، وعندئذ وضع يده على رأسى حتى وجدت بردها فى قلبى ، وأفاض على كل علمه حتى صرت أعرف ما كان وما سيكون ، ثم سألنى مرة أخرى هل يعلم الناس الدرجات والكفارات ، فقلت إن الكفارات هى المشى على الأقدام إلى الجماعات ، وأن الدرجات هى إفشاء السلام وإطعام الطعام والقيام بالليل والناس نيام ، فقال لى إنك قد وصلت وأدركت كل العلم والحقيقة .

الفصل الخمسون :

بعد ذلك ملأنى حكمة من فضله ، وقال لى إنه حبا لى ولأمتى وإكراما منه فإنه يأمرنى أن أخبرهم بأنه قد فرض عليهم خمسين صلاة فى اليوم وصوم ستين يوما فى السنة وسيكون جزاؤهم الجنة ، فلم أجرؤ على أن أطلب منه أن ينقص الصوم لكن طلبت منه التخفيف فى عدد الصلوات فجعلها إكراما لى خمس صلوات ، ثلاثة بالنهار واثنتان بالليل ، وأنه يجب إقامتها بكل شعائرها وقال « إننى سأجعل ثوابها لكم من الجنة كأنها خمسين صلاة ، وكل حسنة تفعلونها سأجزيكم عنها بعشرة أمثالها ، وكل سيئة لا يجزى إلا مثلها ، ولو استغفرتم الله عنها لمحوتها حتى من ذاكرتى » فلم أطلب منه أكثر من ذلك وانصرفت من حضرته .

الفصل الواحد والخمسون :

لما عدت من نفس الطريق ارتفعت لى الحجب واحدة إثر الأخرى كما حدث من قبل ، وصلت فى نزولى إلى السماء التى كان بها موسى ، فلما أخبرته بلقائى مع الله وما أمرنى به من صوم وصلاة نصحنى وطلب منى أن أعود إلى حضرته وأطلب منه تخفيف الصيام لأنه سيكون تكليفًا ومشقة على أمتى مثلما كان على بنى إسرائيل ، فعدت إلى الله ، وضرعت إليه بذلك ، فخفف عنى عشرة أيام ، ولما أخبرت موسى بذلك أعادنى فخفف

عنى عشرة أيام أخرى وعشرة بعد ذلك حتى بقى ثلاثون وقد استحييت من ربى أن أطلب منه أكثر من ذلك طمعًا فى التخفيف .

الفصل الثانى والخمسون :

عدت إلى لقاء جبريل ورضوان ، فرايت جبريل يمسك بيده أربعة أكواب من الأرض عظيمة الجمال ، وقال لى أن أشرب من أيها أريد ، وأعطانى واحدا منها فوجدت له رائحة المسك وطعم اللبن فشربته كله ، وأعطانى الثانى فوجدت له رائحة العنبر وطعم العسل فشربته كذلك ، وأعطانى الثالث فوجدت له طعم الماء ورائحة المسك فشربته كله كذلك . ثم أعطانى الأحير فوجدت رائحته وطعمه مثل الخمر فنفرت منه وتركته ، عندئذ ابتسم جبريل وسألنى إن كنت أكره هذا الشراب فقلت له أجل ، فأخبرنى أن الكوب الأول معناه : كما أن اللبن يغذى ويحكم الجسم البشرى أكثر من أى شراب آخر فإن أمتى ستحكم الجميع حتى يوم القيامة ، أما العسل فكما أنه فيه شفاء للناس فإن الله سيكون شفاء لأمتى إلى يوم القيامة ، وأما كوب الماء فكما أن الماء ينظف ويطهر كل دنس ونجاسة أكثر من أى شيء آخر فإن أمتى ستكون هكذا أنظف من الآخرين إلى النهاية . أما الخمر فكما أنها تدعو الناس إلى الرجس والإثم والحمق فإنك لم تشرب منها لأن الله سيطهر أمتك من كل رجس وإثم وحمق وسيجعل الخمر محرمة عليهم دائما ماعدا تلك التى ستشربونها فى الجنة .

الفصل الثالث والخمسون :

أخذ جبريل بيدى ، وذهب بى بعد ذلك إلى أدنى الجنات حيث أرانى ماء أصفى وأعذب من العسل ، عليه سد كله من البلور وطوله سبعون ألف فرسخ أما عرضه فهو أقصى مدى يبلغه نظر الإنسان ، وعليه من أكواب الذهب والفضة مثل السحاب فى السماء عندما يشتد الغيم ، ورأيت أن الله قد أعد لى هذا النهر ، وأنه ما أعظم سعادة من يستطيع أن يشرب من مائة ، لأنه ألذ وأشهى ماء ، ولن يشرب منه إلا من يصدق بى ولا يتركنى ليتبع نبيًا آخر ثم أخبرنى كذلك بأنه يريد أن يرينى بأمر الله أشكال جميع الخلائق وصور الأحياء والأموات والجحيم وعذابه وأهواله حتى أنذر أمتى وتعرف كيف تحافظ على دينى وملتى .

الفصل الرابع والخمسون :

أخبرنى أنه تحت هذه الأرض التى يعيش عليها الناس هناك أرض أخرى كلها نار ،

وسكانها من نار ، وبحارها وأسماكها من نار كذلك ، وعندها أرض أخرى من نار هى وسكانها وبحرها وسمكها كذلك ، وهكذا حتى سبعة أرضين ، كل واحدة وراء الأخرى ، فى كل منها بحر من نار وكل ما فيها نار ، وتحت هذه الأرضين حجر يمسكها وتعتمد عليه ؛ ويقوم هذا الحجر على حوت يلتقى رأسه وذنبه فى هيئة حلقة أو خاتم ، ولا شىء تحت الحوت سوى الظلام والضباب ، وبعده لا يعرف ما وراء ذلك إلا الله . أما الأرض التى نعيش عليها فيحملها بأمر الله حجر أخضر وضعه ملك فى كف يده ، وقد وقف هذا الملك متكئا على ظهر حوت هائل قوى يمسك ما بين الأرض والسماء ، هذه الأرض معزولة عن غيرها من الأرضين ، وتحتها خلق الله الريح العقيم الذى أصبح من قسوته وشدته كالمرأة التى لا تلد . وقد جعل الله لهذا الريح ألف ممساك من حديد كى لا تنطلق ، يقبض على كل ممساك ألف ملك شديد ، بهذه الريح أهلك الله عادا وقوم هود الذين كذبوا برسله ، ولم يترك هذه الريح تخرج إلا من فرجة مثل إصبع طفل طيلة سبعة أيام وليال حسوما ، فأتت على كل شىء ولم تذر فيهم باقية . وبهذه الريح سوف يهلك الله قبل القيامة جميع الجبال والقلاع والبيوت والمبانى على وجه الأرض حتى يفنى كل من عليها كما جاء فى القرآن الكريم ، وبهذه الريح سوف يعذب الله العصاة فى الجحيم ؛ إذ ينزع عنهم جلودهم ويحرقها بلهيب الريح .

الفصل الخامس والخمسون :

وبعد أن وصف الأرض الأولى قال لى عن الثانية إنها تسمى « الجلادة » وقد جعل الله فيها عقارب كبيرة الحجم كالبغال وأذنابها مثل الرماح الطويلة ، فى كل ذنب ثلاثمائة وستون حلقة ، فى كل حلقة ثلاثمائة وستون قرنا ، فى كل قرن ثلاثمائة وستون كوبا من السم الناقع بلغ من شدته إلى درجة أنه لو وضع منه كوب واحد فقط فى وسط العالم لأفنى جميع ما فيه من زرع وماء وإنسان وحيوان وكل كائن حى لما يخرج منه من نتن شديد ، وقد سلط الله هذه العقارب على العصاة فى النار ، فعندما يجدونهم ينزعون جلودهم ويشدونهم من شعورهم ويسلخونهم من رؤوسهم حتى أقدامهم ، فيظلون بعد ذلك مغشيًا عليهم حتى لا يعرف أحد إن كانوا أحياء أو أموات ، ثم يصبون عليهم بعد ذلك سم واحد من أكوابهم فيفصل فى الحال لحمهم من عظامهم وعروقهم ؛ وهكذا يقضون عليهم ؛ ولكن الله يبعثهم مرة أخرى ليذوقوا سوء العذاب .

الفصل السادس والخمسون :

وتسمى الأرض الثالثة « أرقى » ، وقد ملأها الله بحيوانات « طاطاس » وهى عظيمة

مثل الجبال ، خلقت جميعها من نار وتراب ممتزجين ؛ رهيبة أشد سوادا من الليل الحالك ، يحيط بها الضباب من كل جانب ، وبكل حيوان سم أقوى وأشد اشتعالا من نار الجحيم ، فإذا أطلقه الله على العصاة والمذنبين انتزعهم وطرحهم على الأرض بشدة ، ثم فتح أفواههم وصب فيها السم الذى يذيبهم كما تذيب النار الشمع .

الفصل الرابع والخمسون :

والرابعة تسمى « الحربة » وهى مليئة بحيات الجحيم ، وتبلغ من الضخامة والغلظة درجة يعجز الوصف عن الإحاطة بها ، وفى فم كل حية ثمانية عشر ألف ناب ، كل ناب فى طول النخلة ، تحت جذره سبعون ألف كوب من السم الناقع لوصب على نار جهنم لأحرقها ، ولو عضت حية من هذه بناب من أنيابها أكبر جبال الأرض لصار رمادا ، وهى سوداء اللون ؛ بشعة الهيئة ، فإذا لامست أحد العصاة غرست فى جسده نابا من أنيابها ونفثت فيه قليلا من سمها فيقضى عليه فى الحال ويفتت أعضاءه من الرأس إلى القدم ، ويبلغ من سوء هذا العذاب أن العصاة يتمنون لو أدركهم الموت ألف مرة كل يوم قبل أن يعانوا منه .

الفصل الثامن والخمسون :

أما الخامسة فاسمها « مالطة » ، وهى مليئة بالأحجار الكبريتية من الجحيم التى أعدها الله لتعذيب الكفار والمذنبين ، وهى تشبه الكبريت الأحمر ؛ وكل حجر منها يفوق سبعين ألف مرة أكبر جبال العالم ؛ ويشد زبانية الجحيم رقبة الكافر فى إحدى هذه الصخور ويلقون به فى نار جهنم ؛ وهناك يشتعل الكافر والصخرة فى شعلة هائلة واحدة يرتفع لهيبها بطريقة لا يبلغ الوصف مداها .

الفصل التاسع والخمسون :

أما السادسة فتسمى « السحيقة » وبها تحفظ كل كتب وسجلات العصاة المذنبين وما اقترفوا من آثام إلى يوم القيامة بكل تفاصيل الزمان والمكان والحال . وفى تلك الأرض بحار من ماء شديد المرارة ، أسوأ مذاقا من أى شراب خلقه الله ، حتى أن حيوانات الجحيم نفسها تنفر وتشمئز منه .

وقد بلغت هذه المياه من المرارة والحرارة إلى درجة أنه لو ألقى فيها بحجر أعظم من أكبر جبال العالم لأهلكته فى الحال . فى هذا الماء الحميم الغساق يغتسل العصاة بأمر الله ويشربون منه حتى تذوب أحشاؤهم .

الفصل الستون :

وفى الأرض السابعة المسماة « حاجب » مقر وسكن ومملكة الشيطان بجيشه وأهله ، وهناك صفد إبليس فى القيود من بداية معصيته لله حيث ألقته الملائكة الأخيار وعللته بالسلاسل الحديدية ، وربطت يديه إحداها خلف ظهره والأخرى من أمام ، وفعلت مثل ذلك بقدميه . ويبلغ إبليس من ضخامة الحجم درجة أن رأسه تنفذ من أقطار الأرضين حتى تصل إلى أرضنا هذه فتخترقها قرونه ، وسيجئ اليوم الذى يفك فيه وثاقه ويطلق سراحه إلى هذا العالم حيث يأتى ومعه رفاقه وبصحبتهم كل المذنبين من الشر وأرواح العصاة من أهل النار . وفى وسط تلك الأرض قام حاجز فاصل من ضباب قد جعل بحيث لا يستطيع أحد أن يقترب من إبليس دون أن يخترقه ، ومن خلفه القلعة التى يسكنها . والخنادق المحيطة بها مترعة بالسم الناقع من كل الأنواع ، جدرانها وأبراجها وشرفاتها وبيوتها جميعًا من نار سوداء لا يهدأ لظاها ولا يخبو سعيرها ، وهناك فى جانب من القلعة باب يفضى إلى جهنم الكبرى وفى الجانب الآخر باب ثان يؤدى إلى الزمهرير ، وتحت كل هذا هواء وضباب ، أما ما وراء ذلك فلا يحيط بعلمه إلا الله تعالى .

الفصل الواحد والستون :

وقال لى جبريل إنه قبل يوم القيامة بقليل ، يأمر الله يفتح بئر قريب من جهنم ملئ بالنار اسمه « الفلق » يبلغ من الشدة درجة أن ناره تحرق جهنم نفسها كما تحرق نار الأرض القطن المندوف ، فإذا بلغت هذه النار البحر العظيم المحيط بالجحيم وما حوله من بحار جففتها بكل ما فيها حتى لا يبدو أنه كان هناك ماء .

هذا البحر العظيم هو الذى يفصل الجحيم عن الأرضين السبعة ، وعندما تصل تلك النار إليها تقضى عليها وتحيلها فى طرفة عين إلى جمرة متقدة .

أما كل العقارب والأحجار الكبريتية وحيوانات الطاطاس والريح العقيم وكل ما هنالك فإنه يختنق كظما بنار الفلق هذه مثل السمكة إذا ألقيت على جمرة هائلة .

الفصل الثانى والستون :

وقال لى جبريل إن تلك الأرضين السبع بعد أن خلقها الله لم يضعها فى مكان ثابت ، بل ظلت مثل سفينة فى البحر تضرب فى كل اتجاه ، وهى تنكمش وتنبسط مثل قطعة قماش ضائقة بحركتها ، ولما رأى الملائكة ذلك ضرعوا إلى الله راكعين أن تنتهى شقوة تلك الأرضين وأن يجعل فيها سكانها ، فاستجاب الله لهم وأرسل واحدًا من الملائكة

الثمانية الذين يحملون عرشه إلى قاعٍ تلك الأرضين السبع ليمسكها ، فنزل الملك وبسط ذراعيه ووضع الأرضين على كتفيه فهدأت واستقرت . ثم أعطى الله هذا الملك حجرًا بالغ الجمال يقف عليه بقدميه . كان حجرًا مربعا شديد الخضرة ، ثم أرسل الله ثورًا من الجنة يعتمد عليه الحجر فعلقه على منكبيه ، ثم بعث الله للثور بحوت عظيم يقف عليه متكئًا بقدميه ، أما حجمها فإن مسافة ما بين قرنى الثور مسيرة خمسمائة سنة ، ومثلها مسافة ما بين القرنين إلى منكبيه ، ومن المنكبين إلى منبت ذيله كذلك ، وطول ذيله خمسمائة عام ، ونفس المسافة هى التى تقع بين منتهى ذيله إلى حوافره . أما الحوت فاسمه « الوزان » وهو فوق البحر العظيم الذى يحمل جميع ذلك دون أن تكل قواه مطلقًا ، بل تزيد باستمرار ، وكل المياه التى تجرى فى بحار العالم وتهبط من السماء تدخل فى أنف الثور وتنزل إلى بطنه دون أن يمتلئ أبدًا حتى يوم القيامة .

وسوف ينبعث من الملك والحجر والثور والحوت بخار هائل هو الزلزال الذى ستعقبه القيامة .

الفصل الثالث والستون :

وأضاف جبريل قائلا لى إن كل تلك الأشياء سيكون لها يوم القيامة قدر عظيم ، وقدرة هائلة ، وأن كل واحدة من هذه الأرضين السبع تحتوى فى نفسها على بحر عظيم ، وبهذا يكون عدد البحار أربعة عشر ، وهنالك كذلك بحر هائل على مدخل الجحيم يسمى بحر البحار ، وهو الذى يمنع نار جهنم أن تحرق الكون كله ، وهناك أسفل ذلك الجحيم ضباب وريح شديد فى مكان يسمى « زار » لا يعرف ما دونه إلا الله وحده ، أما الأرض التى نعيش فوقها فهى ممتدة فوق ظهر حوت ومتصلة من كل جانب بجبل يسمى « قاف » هو الذى يغلفها ويحيطها ، وتبلغ مساحته مسيرة خمسمائة عام .

الفصل الرابع والستون :

أما بقية الأراضى السبع فإن طول كل واحدة منها وعرضها مسيرة ألف عام ، وسمكها مسيرة خمسمائة عام ، وبين تلك الأرضين السبع وأرضنا يقوم عالم الجن ، وسمكه مسيرة خمسمائة عام ، وبين عالم الجن والسماء الدنيا مسافة مائتين وعشرين عاما ، وفى هذا الهواء خلق الله طيورًا عظيمة الحجم ، رؤوسها وذوائبها سوداء ، مناقرها صفراء ، أما بطونها وصدورها فبيضاء ، وهى الطيور الأبابيل التى حملت الأحجار الكبريتية التى أحرق الله بها قوم لوط فى سدوم وعامورة ، وكان كل طائر يحمل ثلاثا منها بمنقاره .

الفصل الخامس والستون :

وشرح لى جبريل بعد ذلك كيف خلق الله الأمانة وعرضها على السماوات والأرض والجبال والوديان ، قائلا إنها إن رعتها كما يجب فسيكون لها جزيل الثواب ، وإن لا فسيحق عليها العقاب ، ولكنها أبت أن تتلقاها وتحملها ؛ فأعطاها الله لآدم الذى قبلها ورضى أن يرعاها بنفسه وبخلفائه ، وإن أعظم أمانة هى معرفة النفس ، والمثول الدائم أمام الله ، حيث يكون فى حضرته وأمام عرشه مثل حبة خردل فى كف اليد أو مثل كوب صغير فوق مائدة عظيمة . من أجل هذه الأمانة فإن الرجال والنساء والطير والوحوش وكل المخلوقات تسبح بحمد الله ، بل إن الضفادع تسبح بحمده مثلها جميعا عشر مرات ، لن تكف عن ذلك حتى يوم القيامة الذى تتحول فيه بأمر الله إلى تراب .

الفصل السادس والستون :

وقال لى جبريل إن يوم القيامة سيجتمع فيه كل الناس كى يسمعوا أو يتلقوا الحكم عليهم ، وسيأتون حفاة عراة كما ولدوا ، وتكون أعمارهم ثلاثين سنة ، ولا يخجلون من عريهم لما سيكونون فيه من شغل بأنفسهم وبذنوبهم وقرب الحساب الذى سيضعهم فى موقف عسير ، حيث يتصبب منهم العرق وهم محملون بالذنوب حتى يصل إلى أعجاز بعضهم ويصل من بعضهم الآخر إلى الركب أو إلى الأقدام . وعندما يرى الله ما هم فيه من شدة وكرب يأمر ملائكته بأن يحضروا العرش ويضعوه على أرض ناصعة البياض ، أبهى من أشد أنواع الفضة نقاء ، حيث لم يرتكب ذنب أبدًا ؛ ولم ترق قطرة دم على الإطلاق ، ويتجلى الله سبحانه وتعالى لكل العالم حيث تراه عيون الناس لأول مرة .

الفصل السابع والستون :

يجلس الله على عرشه ؛ ويجمع أمامه كل الخلائق ، ينادى على كل واحد باسمه ، ويجعله يمثل فى حضرته حتى يراه ويسمعه جميع الناس ، ثم يأمر بأن يحضروا كل ما فعله فى حياته من خير أو شر لتقرأ صحيفته على الملأ ، ثم يشير بأن يتقدم كل من له شكوى ضده ، فيعوضهم الله من حسناته ، فإذا أصبحت السيئات أعظم من الحسنات حمل إلى الجحيم ، وفى هذا اليوم لن ينجى أحدًا سوى حساب حسناته وسيئاته ، وسوف يكشف عن جميع الأسرار ، وحتى جوارح الإنسان فتشهد عليه وتفضحه وتشهر بأى ذنب ارتكبه وأخفاه . أما الذين قصرت حسناته عن تعويضهم فإن الله يجزيهم بفضله ، كل هذا يتم فى لحظة واحدة لأن الله عنده علم كل شىء حاضر فى حكمه وعدله ،

حتى لن يكون هناك ملك ولا نبى ولا شهيد ولا ولى من أوليائه لا يرتجف من دقة الحساب الإلهى الذى لا يدع كبيرة ولا صغيرة إلا أحصاها .

الفصل الثامن والستون :

ولما سألت جبريل عما إذا كانت كل تلك السماوات والأرض متصلة فيما بينها أو منفصلة قال لى إنه من الضرورى مراجعة كل ما رأيت للإحاطة بفهمه ، وهكذا تذكرت أنه عندما خلق الله الأرضين السبعة أمر ملكًا يسمى عزرائيل أن يمسكها وهو يركب ثورا يسمى بهموت ، وأمر هذا الثور أن يعتمد على صخرة خضراء ، وعلى تلك الصخرة قام جزء من الجبل العظيم المسمى بجبل قاف ، أما إلى أسفل فهواء وضباب يمتدان حتى قاع الماء ، وبين هذا الماء والضباب يقوم الحوت الكبير الذى يمسك بجميع الأشياء أن تقع والذى يحوطه الريح العقيم . أما جبل « زار » المذكور من قبل فهو مقسم دائريًا إلى سبعة أقسام ، كل منها منفصل عن الآخر ، وتبعد كل أرض عن الأخرى بمقدار خمسمائة سنة ، وكل هذا إنما يدخل في جبل قاف .

الفصل التاسع والستون :

سألت إن كان هناك ناس فيما وراء جبل قاف فقال لى إن الهواء كانت فيه بعض المخلوقات الحية على هيئة الإنسان لا يعلم أمرهم إلا الله ، وأن ما بين سماء العرش والسماء التى تقع أسفل منها يوجد ديك الله الذى تحدثنا عنه وأن تلك هى أرض قاف ، ومنها يتفرع سبعة عشر فرعًا مثل أغصان الشجر تمتد نحو السماوات ، وهى من الضخامة والعظم بحيث تنفذ حتى أقطار السماء الثامنة التى تعتمد عليها بقية السماوات دون أن تمس الأفرع . ومن وراء جبل قاف تمتد الأبحر السبعة التى تحيط بكل شىء . أما فوهة الجحيم فهى فى منتصف الجزء التالى للأرض السابعة مثل البئر العظيم . وكل هذا يقوم على أكتاف الملك المذكور . وإلى جوار فوهة جهنم هناك سبعة أبحر من نار تصب كلها فى بحر هائل يجعل الله أرواح العصاة تغتسل وتتطهر فيه ، ولكن أرواح المكذبين به تنغمس فيه حتى تلقى حسابها يوم القيامة . وعندئذ يرفع الله الجحيم والجنة على السواء ، لكن الجنة فوق الجحيم ، وعلى الجحيم يقوم الصراط يوم القيامة ، وهو جسر طوله مسيرة خمسمائة عام . وبجواره روضة مختبئة طولها خمسمائة عام كذلك ، وهى تقع ما بين أرضنا والأرض الأولى من الأرضين السبع ، وإلى جانبها روضة أخرى تقع بين الأرض الأولى والثانية عرضها ثلاثون سنة ، وبين الثانية والثالثة روضة أخرى مسافتها ثلاثون سنة أيضًا ، وهكذا تقوم رياض بنفس القدر بين بقية الأرضين .

الفصل السبعون :

وشرح لى جبريل بعد ذلك كيف وزع الله رزقه بين مخلوقاته ، فعندما خلق السماوات والأرض قسم نعمته إلى عشرة أجزاء ، وأعطى تسعة منها لملائكة السماء الثامنة حيث يقوم عرشه ، ثم قسم الجزء العاشر إلى عشرة أجزاء ، وأعطى تسعة منها إلى ملائكة السماء السابعة ، وهكذا قسم ووزع بنفس الطريقة فى بقية السماوات حتى قسم العشر المتبقى من السماء الأولى إلى عشرة أجزاء كذلك ، وأعطى تسعة منها إلى أرواح النار ، ثم أعطى تسعة أعشار العشر الباقى إلى الأشباح والجن فى الهواء ، ومثله مما تبقى إلى الطير فى السماء ، ومثله مما تبقى إلى السمك فى الماء . وقد أعطى للإنسان نعمة عظيمة جعلته يعرف ويميز جميع الأشياء . وبعد ذلك خلق الشر على الأرض ، وقسمه على الناس بنفس الطريقة ، فأعطى تسعة من الأقسام العشرة الأولى إلى يأجوج ومأجوج ، ثم خلق الحسد من العشر الباقى وأعطى العرب تسعة أعشاره ، ومن العشر الباقى خلق الفجور وأعطى الهنود تسعة أعشاره ، ومن العشر الباقى خلق الزيف وأعطى اليهود تسعة أعشاره ، ومن العشر الباقى خلق الكبرياء وأعطى المسيحيين تسعة أعشاره ، ومن العشر الباقى خلق البخل وأعطى الفرس تسعة أعشاره ، ومن العشر الباقى خلق الجهل وأعطى أهل الحبشة تسعة أعشاره ، ومن العشر الباقى خلق الخيلاء وأعطى البربر تسعة أعشاره ، ثم وزع الباقى على العالم كله . ثم خلق بعد ذلك الملذات وقسمها إلى عشرة أجزاء ، وأعطى تسعة منها للنساء والباقى وزعه على العالم كله ، ثم خلق الجنة وأعطى تسعة أعشارها لمن تبع دينى والباقى للعالم كله .

الفصل الواحد والسبعون :

ولما انتهينا من ذلك أخذ جبريل ينفث الزفرات قائلا لى إنها من حزنه على ما يرى من عذاب المذنبين فى النار . ثم أمسك بيدى وذهب بى إلى مكان رأيت منه الجحيم وأبوابه السبعة بعضها فوق بعض ، وهى شديدة التوقد حتى أن أهونها لو كان فى المشرق وكان الإنسان فى المغرب لصهرت مخه حتى يخرج من أنفه من شدة الحرارة التى تنبعث منها . أما أسماء أبوابها فهى ، جهنم ولهب والحطمة والسعير وسقر والجحيم والهاوية ، ويبعد كل باب عن الآخر بمقدار سبعين ألف سنة ، وأمام كل باب جموع غفيرة من الناس والشياطين يأتى بهم الله كل يوم كى يروا من هناك ما ضيعوه من نعيم الجنة فتذوب نفسهم حسرات وتتضاعف أحزانهم . وبخارج الأبواب على الشمال سبعون ألف جبل من نار ، ينبع منها سبعون ألف نبع من نار ، على حافة كل نبع سبعون ألف

قلعة من نار ، بكل منها سبعون ألف بهو من نار ، وفى كل بهو سبعون ألف امرأة من نار كلهم غاية فى القبح والشناعة ، فإذا ما التقين بالعصاة والمذنبين أخذتهم بالأحضان الشديدة ، حتى يتراءى لهم أنهم قد فقدوا حياتهم حرقًا بأشد مما تحرق كل النيران الأخرى ، فيتمنون لو مات كل منهم سبعين ألف مرة فى اليوم قبل ذلك . كما تصب كل واحدة منهن عليهم سبعين ألف نوع من العذاب . وعلى شواطئ هذه الأنهار النارية سبعون ألف شجرة من نار ، بكل شجرة سبعون ألف صنف من الثمار ، فى كل ثمرة سبعون ألف دودة ، أقل دودة بها من السم ما يكفى القضاء على جميع أهل الدنيا وفصل لحمهم عن عظامهم ، وتحت كل شجرة سبعون ألف تنين ومثلهم من العقارب . وجهنم كلها مليئة بالوحوش الضارية من جميع الأشكال ، وهى تصيب الكفار والمذنبين بما يصل إلى سبعين ألف نوع من العذاب ، فتجعلهم يتمنون لو ماتوا سبعين ألف مرة فى اليوم قبل أن يلاقوه .

الفصل الثانى والسبعون :

وشرح لى جبريل بعد ذلك عقاب جهنم المقسم طبقًا لأنواع الذنوب المقترفة ، فقد أمر الله أن يحشر من الباب الأول المسمى جهنم كل من يشرك به معتقدًا فى أصنام من طين أو معدن ، أما الباب الثانى لهب فهو للمرتدين ، والثالث وهو الحطمة للبخلاء ويأجوج ومأجوج ، والرابع وهو السعير للمقامرين والمجدفين ، والخامس وهو سقر للذين لا يقيمون الصلاة ولا يؤتون الزكاة ، والسادس وهو الجحيم لمن يكذبون أنبياء الله ورسله والسابع وهو الهاوية لمن يطففون فى الكيل والميزان . وبقية النار مقسمة إلى سبعة أجزاء ، ستة منها لمن يدعون مع الله إلهًا آخر ويفعلون ما يشتهون دون أن يأتمروا بأمر الله . وكل هذه الأصناف من الناس ستمحى أسماؤهم من سجل الحياة .

الفصل الثالث والسبعون :

ويوم القيامة سوف يأمر الله بأن يحضر أمامه وحش عملاق قد خصص للأخذ بزمامه سبعين ألف زمرة من الملائكة ، هؤلاء الملائكة يعدون فى السماء أربعة أعمدة عظيمة طول كل منها مسيرة سبعين ألف سنة ، ثم يقيمونها فى أركان المحشر الأربعة ويربطون فيها ذلك الوحش ليعذب العصاة والمذنبين . هذا الوحش له ثلاثون ألف فم ، بكل فم ثلاثون ألف ناب أحد من السيف ثلاثين ألف مرة . وبكل مشفر من مشافره حلقة عظيمة من حديد وسلسلة كبيرة ، بكل سلسلة سبعون ألف خاتم من حديد ، وقد أمسك بكل خاتم ملك عظيم ، بلغ من الضخامة إلى درجة أنه يستطيع أن يزدرد الدنيا وما فيها دون

أن ينال منه ذلك شيئًا . هذا الوحش العملاق شديد المشافر مهول الشكل حتى لو أنه وضع فى أقصى طرف من الأرض وفى الطرف الآخر إنسان لغشى عليه من الخوف والفزع . وعندما يجد هذا الوحش نفسه وقد جرته الملائكة وأحضرته أمام الله يرتجف بشدة ويرجوهم أن يخبروه عن سبب إحضاره أمام الله ، ولكنهم يجيبونه بأنهم لا يعرفون السبب ويفعلون ما يؤمرون . وعندما يركع أمام الله يخبره أنه خلقه كى يعذب به العصاة وينتقم به من آثامهم ، خاصة هؤلاء الذين يشركون به إلها آخر . عندئذ يقدم له الوحش أعظم الحمد والثناء خضوعًا واستسلامًا لإرادته ، ويزفر بشدة لو سمع أهل الكون زفرة واحدة منها لماتوا من الخوف ، ثم لا يلبث أن يمضى فى الحال وهو ينفث من فمه لهبًا لو امتد من فوق العالم كله هو والدخان الذى يخرج من أنفه لأظلمت به الأرض جميعًا ولما استطاع أحد أن يرى أحدًا إلا بفضل من الله . ثم سارت الملائكة إلى جانبه وهى تقوده إلى الجحيم .

الفصل الرابع والسبعون :

وانتابنى لكل ذلك خوف وفزع شديدان فأخذ قلبى يدق فى صدرى ، وقد طلبت من جبريل أن لا يخفى علىَّ من الأمر شيئًا فأخبرنى أن كل الناس يوم القيامة سيرون هذا الوحش وسيبلغ بهم لذلك الفزع مداه حتى ليخيل إليهم أن قلوبهم ستنزع من صدورهم وأن أعضاءهم ستقطع إربًا إربًا وسيغشى عليهم لمجرد رؤية الوحش وتذكر ذنوبهم . ويأمر الله بإحضار ميزان أمامه يبلغ حده ما بين المشرق والمغرب ، وكل واحد من كفاته يبلغ من الضخامة درجة أن يغطى الأرض جميعها ، إحداها من نور والأخرى من ظلام ، أما كفة النور فهى على اليمين وكفة الظلام على اليسار ، وتوضع الحسنات فى كفة النور كما توضع السيئات فى كفة اليسار والظلام ، ويحمل كل إنسان قفتين مثل الحوضين ، يبلغ طولهما مقدار ما يصل إليه بصر الإنسان على أبعد مسافة ، يضع حسناته فى إحداهما وسيئاته فى الأخرى . وعندما يأتى إلى الميزان يفرغ حسناته فى كفة النور وسيئاته فى كفة الظلام ويظل هو فى الوسط ، حتى يذهب ناحية الظلام إن ثقلت سيئاته وفاقت حسناته ، وناحية النور إن ثقلت حسناته وهبطت كفتها فى الميزان . ومن أجلك يا محمد فإن الله سيجعل أى إنسان مهما كان جنسه أو ملته ومهما كانت الذنوب التى ارتكبها ، ما دامت معه ورقة كتب فيها « لا إله إلا الله محمد رسول الله » ويلقيها فى كفة النور فإنها سترجح وحدها كل ذنوبه فى الكفة الأخرى ثم تغفر له جميع تلك الذنوب وما عداها ويمحوها الله من كتابه .

الفصل الخامس والسبعون :

ثم قال جبريل إن يوم القيامة سيكون طوله خمسين ألف سنة ، ولكنه عند الله لن يزيد على طرفة عين ، وهذا لسببين : لأن الجميع سيكونون يوم الحشر واقفين على أقدامهم ، ولأن الصالحين سيكون عندهم شوق عظيم للذهاب إلى حيث ينعمون بثواب طيباتهم ، أما الآخرون فسوف يعروهم الحزن والكرب والجوع والعطش والخوف المقيم . وهذا اليوم سيقال له يوم البعث والنشور واليوم الآخر لجميع الأيام ، وفيه ترتجف السماوات والأرض وينفخ فى الصور فتسمع صيحة كبرى هائلة فيقوم جميع الموتى ويبعثون أحياء ، وسيكون يوم الحساب والعقاب والعدل ، وفيه تتغير وجوه الناس فمنهم من تبيض وجوههم ومنهم من تسود ، ولا مجال فيه للكذب ولا للغش ، ولا يغنى والد عن ولده شيئًا ، وتذهل فيه الحامل عمن فى أحشائها وترى الناس سكارى من الخوف ، فى هذا اليوم يبدل الله أرضًا غير الأرض وسماء غير السماء ويكون كل شىء أمام عظمة الله ضئيلا صغيرًا كأنه سفينة صغيرة فى بحر عظيم . وعنده لن تكون هناك ذنوب أخرى لأن قلوب البشر سترى بكل وضوح صغارها وحماقتها ، وسيفقد الشر والكذب كل سلطانهما ، وسيكون يوم محنة خاصة وعذاب شديد لمن لم يؤمن بالله ومن لم يطع رسله فيما جاءوا به من عند الله .

الفصل السادس والسبعون :

وحدثنى جبريل بعد ذلك عن الجسر المسمى بالصراط الذى خلقه الله ليبلو الصالحين والعاصين من عباده ، وهو معلق فوق الجحيم ، أرق من الشعرة وأحد من السيف ، محاط من جانبيه بكلاليب وخطاطيف حديدية أعظم وأسن من أكبر الرماح ، وهو مقسم إلى سبعة جسور ، بعضها فوق بعض ، أولها طوله مسيرة عشرة آلاف سنة ، وثانيها عشرين ألف سنة ، وثالثها أربعين ألف سنة ، ورابعها ثمانين ألف سنة ، وخامسها مائة وستين ألف سنة ، وسادسها ثلاثمائة وعشرين ألف سنة ، وسابعها ستمائة وأربعين ألف سنة ،

ثم قال لى : عندما يأمر الله أمتك بالذهاب إلى الجنة سيحاولون اجتياز الجسر الأول ، وسيختبرون حينئذ فى إيمانهم وكيفية اعتقادهم ، أما المؤمنون الصالحون فسيمرون ، وأما الطالحون فسوف تنهشهم الكلاليب وتمسك بهم الخطاطيف حتى يقعوا فى النار . ومن يمر إلى الجسر الثانى فسوف يسأل عما إذا كان قد أقام الصلاة المفروضة ، فإن كان قد أقامها مر وإن لا سقط فى النار مثل الأولين ، ومن يعبر إلى الجسر الثالث فسوف يمتحن فى حفظ القرآن أم لا ، فأما من حفظه فسيمر وإن لا وقع فى النار ، والذين يمرون

إلى الرابع سوف يسألون عن الصيام ، فمن أتم صيامه مر وإن لا سقط فى النار ، ومن يذهبون إلى الخامس يسألون عن فريضة الحج إلى مكة فى الميقات المعهود ، فمن حج مر وإن لا سقط فى النار ، ومن يمرون إلى السادس يسألون عن الغسل والوضوء عند الصلاة وبعد الجنابة ، فمن كان قد فعل مر ومن لم يفعل سقط فى النار ، ومن يذهب إلى الجسر السابع يسأل عن بر الوالدين الذى أمر به الشرع ، فإن كان قد برهما مر ونجا وإن لاسقط على وجهه فى النار ليذوق العذاب الأبدى جزاء وفاقا على عقوقه وظلمه .

الفصل السابع والسبعون :

وأخبرنى جبريل أيضًا عن هذا الجسر أن طرفه فى وسطه ، وأن الجزء الذى به الكلاليب والخطاطيف يكاد يشبه أكبر الجبال وأعلاها فى الأرض ، إذ يشق الصعود عليه والهبوط منه إلى أقصى درجة ، فيبدو النزول منه كما لو كان انحدارا إلى هاوية ، وبه من هذه الجبال سبعون جبلا ، يستغرق الصعود إليها والهبوط منها سبعين ألف سنة ، وبين كل جبل وآخر ظلام ممتد يبلغ مسافة ثلاثة آلاف سنة . أما اللهب الذى يخرج من النار فإنه يتجاوز رؤوس من يمرون على هذه الجسور المذكورة بمسافة مقدارها مسيرة سبعين ألف سنة ، ويتصاعد ذلك اللهب على جانبى الجسر حتى ليخيل للعابرين أنهم يسيرون فى طريق من نار ، ولا يرون فى كل اتجاه سوى اللهب والنار ، فإذا نظروا إلى أسفل رأوا جهنم بأبوابها السبعة ، حيث ينبع بجوار كل باب سبعون ألف نهر من نار ، ويتفرع من كل نهر مائة ألف جدول من نار ، فى كل منها ألف تنين ، ومثلها من العقارب التى يبلغ أصغرها مسيرة عشرة آلاف سنة ، ولكل تنين وعقرب سبعون ألف ذنب ، بكل ذنب عشرة آلاف خاتم ، بكل خاتم عشرة آلاف قرن صغير ملىء بالسم الناقع ، فإذا ما وقع أحد المذنبين إلى النار فإنها تنهشه وتصب عليه من سمها ما يقضى عليه ، لكنه يعود مرة أخرى إلى الحياة ليذوق سوء العذاب . كذلك يجعلونه يرتدى سبعين جلدا منها ، كل جلد يبلغ سمكه سبعين ذراعا ، ومسافة ما بين كل جلد وآخر مليئة بالحيات والعقارب التى تلدغه وتسممه وتقطع جسده إربا إربا حتى يتمنى أن يأتيه الموت ألف مرة . وتحرقه نار الجحيم سبعين ألف مرة فى اليوم دون أن يستطيع موتا نهائيًا بأمر الله كى يذوق العذاب ، أما أثناء النهار فإنه يجمع الأحطاب التى يحرق بها فى الليل .

الفصل الثامن والسبعون :

وقد انهمرت دموعى غزيرة عند سماع أخبار هذه العقوبات ، وقال لى جبريل إن

كثيرا من أمتى سيقع فى الجحيم رجالا ونساء ، وسيوزعهم الله إلى سبع مجموعات ويقول لهم : من يظن منكم أن من حقه أن يعبر الجسر فليتقدم لعبوره ، فيهرعون جميعًا لاجتيازه ، أما أنت يا محمد فستكون فى الجانب الآخر من الجسر عند الجنة ، يرتفع صوتك بالدعاء قائلا « اللهم نج أمتى » وعندما يسمعونك يهرعون إلى الجسر متكالبين كأنهم سحب من جراد منتشر وهو يتساقط على الأرض ، أما أنا — أى جبريل — فسأكون مع أمتك داعيًا اللهم أرزقهم النجاة ، النجاة . وعند عبورهم يرتجف الجسر كأنه نخلة تعصف بها الريح ، فإذا مر المقدمون من أهل الزمرة الأولى مروا خفافا كأنهم البرق ، ومر أهل الزمرة الثانية كأنهم ريح إعصار ، والثالثة مثل الطير المحلق فى أجواء الفضاء ، والرابعة مثل جواد السباق ، والخامسة مثل الرجل العداء ، والسادسة مثل الإنسان النشط السريع ، والسابعة مثل طفل صغير يحبو ويتعلم المشى ، بعضهم يجر نفسه على صدره ، وآخر يتشبث بيده بالجسر ، فإذا ما لسعته النار سحبها وتشبث باليد الأخرى ، فإذا ما لسعته رفعها وحاول التشبث بقدميه ، فإذا زلت إحداها اعتمد على الأخرى ، وهكذا يظلون على تلك الصورة حتى يعبروا جسر الصراط وقد سودت أجسامهم فصارت مثل الفحم من الحروق . بعضهم يقاسى هذا العذاب طيلة يوم وليلة ، وآخرون طيلة يومين ، وآخرون طيلة شهر أو شهرين أو ثلاثة ، وآخرون طيلة عام أو عامين أو أكثر ، وهكذا حتى يكون هناك من يستغرق خمسًا وعشرين ألف سنة ، وهى نصف يوم القيامة الذى يطول بمقدار خمسين ألف سنة ، يعنى أن من سيكون مصيره الجنة أو النار عليه أن يكون فيها يوم القيامة قبل منتصف النهار .

الفصل التاسع والسبعون :

ولما فرغ جبريل من حديثه ، رأيت بعض العصاة والكفار وهم يقاسون أنواعا مختلفة من العذاب فى جهنم ، مما جعلنى أتصبب عرقا من الكرب والضيق ، رأيت بعضهم تنزع شفاههم برماح متقدة ، وقال لى جبريل هؤلاء الذين يزرعون دائمًا الشقاق بكلماتهم ، وآخرين تنزع ألسنتهم لما شهدوا به من شهادة الزور ، وآخرين معلقين من ذكورهم فى خطاطيف من نار ، وهؤلاء هم الزناة ، ورأيت بعد ذلك أفواجًا من النساء معلقات فى كتل من نار ربطت على فروجهن وعلقت تلك الكتل فى سلاسل من نار وهن البغايا ، ورأيت أفواجا أخرى ممن كان يعجبك منظرهم وملبسهم فى الحياة الدنيا فعرفت أنهم الموسرون من أمتى ، وقد جعلوا يحترقون بنار هائلة لأنهم على الرغم من صدقاتهم كانوا ظالمين ومتكبرين على الضعفاء من الناس . وهكذا أنظر إلى كل العصاة والمذنبين وهم يتعذبون طبقًا لما اقترفوا من سيئات ، فرجوت جبريل أن يبعد بى عن هذه المشاهد ، إذ

لا أطيق ما أرى من هول وعذاب . فسألنى جبريل عن رأيى فى كل ما شاهدت من غرائب ، فقلت له إننى أدرك جيدًا فى الدرجة الأولى الشرف الذى خصنى به الله سبحانه وتعالى عندما أطلعنى على ما أعده لأوليائه الصالحين من نعيم وما أعده للأشرار من عذاب مقيم ؛ ثم أجبته كذلك بأننى سوف أحتفظ فى ذاكرتى جيدا بكل ما رأيت ، فقال لى عليك أن تبلغ أمتك بما رأيت حتى تتبع الطريق المستقيم ، وتتجنب المعاصى والذنوب .

الفصل الثمانون :

ثم أردف جبريل قائلا : أما أنت يا محمد فسوف ترجع الآن ، وسأكون بصحبتك ، ستذهب إلى بيت المقدس ، وتركب البراق مرة أخرى وسيمضى بك إلى بيتك ، ثم أمسك بيدى ، وهبطنا إلى الصخرة السوداء التى ذكرتها من قبل ، حيث كان ينتظرنى البراق بفرح عظيم ، وعانقنى جبريل وباركنى وأوصانى كثيرًا أن أبلغ هذه الأشياء إلى أمتى ، فامتطيت البراق ، ورجعت إلى بيتى ، وكان الفجر قد بزغ ، فترجلت عن البراق الذى تطأطأ لى واختفى على الفور . دخلت بيتى فوجدت زوجتى أم هانئ مازالت نائمة فى الفراش ، فلما جلست على حافته استيقظت ، ورأتنى وقد غمرنى الحبور والفرح فسألتنى عن السبب فرويت لها كل ما رأيت ، طلبت منى أن أرتاح وأرقد حتى يطلع النهار ، لكننى أخبرتها أننى سأذهب من فورى إلى المسجد لأخبر قريشًا بكل شىء ، فاعترضت على وقالت إنهم سوف يعتبرونه افتراء ويسخرون منه .

الفصل الواحد والثمانون :

خرجت من منزلى ، وكان النهار قد أشرق ، فقابلت عند عتبته زوجتى الأخرى « حفصة » مع ابنتى فاطمة ، وكانتا قادمتين لرؤيتى ، وبعد أن أخبرتهما بكل ما حدث طلبتا إلى بإلحاح كذلك أن لا أذهب لأقص مثل تلك الأشياء على قبيلتى ، لكننى مضيت فى طريقى ، فقابلت ابن عمى « ابن عباس » ولما عرف بما أخبرته به حاول كذلك أن يثنينى عن هدفى ، لكنى ذهبت حتى دخلت المسجد ، فوجدت كل قبيلتى مجتمعة ، ومعهم أبو بكر الصديق ، فنهضوا جميعًا ، وقال أحدهم ، وكان قاضيًا بينهم ، اسمه « الحكم » ، وتبعه ابن عم آخر لى كان يكرهنى ، أبو بكر (؟) قالوا للمجتمعين : هاكم محمد ، جاء ليقص علينا تلك الأكاذيب التى لم يسمع بها أحد قط من قبل .

الفصل الثانى والثمانون :

ولكنى مع ذلك ألقيت السلام عليهم جميعًا بنظرة ثابتة جذلة ، فأفسحوا لى مكانًا

بينهم ، وأخذت أشرح لهم كيف أمرنى الله أن أبلغهم ما أرانيه فى الليلة السابقة من آيات قدرته ونعمته ، والشرف الذى خصنى به ، وكيف أنه لابد لهم من تصديقى وطاعتى فى كل ما جئت به من الله من قول أو عمل لأننى قد بعثت رسولا من الله للعالمين . فلما أخبرتهم بكل شىء صدقنى أبو بكر الصديق فى كل ما قلت ، أما الآخرون فقد لزموا الصمت وفى النهاية قاموا ثائرين ورمونى بالكذب والافتراء ، إذ أننى أطلب منهم أن يصدقوا أننى فى ليلة واحدة قد ذهبت إلى بيت المقدس ورأيت أطباق الأرض والسماوات والجنة والنار ، وأن بين كل سماء وأخرى مسيرة خمسمائة عام ، بينما هم يعرفون أن ما بين مكة وبيت المقدس مسيرة شهر على الأقل . قالوا لى هذا وغيره من الكلمات المؤذية ، ولكن أبا بكر قال لهم إن كل هذا ممكن بقدرة الله ،

الفصل الثالث والثمانون :

وتحملت أذاهم فى صبر حبًا لله ولهم ، وقالوا لى فى نهاية الأمر : إن كنت حقا رسولا من الله كما تزعم ، فقل لنا أين تسير قافلتنا التى ذهبت إلى بيت المقدس وماذا تحمل ومتى تعود ؟ وكانوا قد بعثوا أربعين بعيرا لإحضار مؤونة ولابد أن تمر ببيت المقدس ، فلم أستطع أن أرد عليهم فى الحال بشىء ، لأن الله لم يكن قد أظهرنى عليها فى الليلة السابقة ، فنكست رأسى ، وغطيتها بالعمامة ، وبدأت أفكر وأصلى لله بخضوع حتى يهبنى القدرة على أن أقول الحق لقبيلتى حتى يؤمنوا بكلمتى ويصدقوا رسالتى ، ولما فرغت من صلاتى أمر الله جبريل أن يحضر أمامى العالم كله حتى يمكننى رؤيته كما لو كان فى كفى ، وحدث هذا فى الحال ، فرأيت بيت المقدس والقافلة وما تضمه من جمال وما تحمله من أحمال ، رأيت كل شىء ثم رفعت رأسى ونظرت إلى جميع الحاضرين فقال لهم أبو بكر الصديق إنى صادق وقد عرفت كل الحقيقة .

الفصل الرابع والثمانون :

قلت لهم : لقد كذبتمونى فيما أخبرتكم به ، وأردتم مع ذلك أن تختبرونى بشأن قافلتكم ، فاعلموا إذن أن الله قد جعل جبريل يطلعنى على كل شىء ، إنها أربعون دابة منها عشرة محملة بالبر وعشرة محملة بالتمر وعشرة محملة بالتين وعشرة محملة بالزبيب ، وقد اقتربت من هنا حتى إنها لتصل اليوم نفسه ، فحثهم أبو بكر بعد ذلك على أن يتثبتوا مما قلت ، فنهضوا من فورهم ، وانطلقوا إلى طريق القافلة ، فوجدوا أن كل شىء مطابق لما أخبرتهم به ، ولكنهم مع ذلك لم يؤمنوا بى ، ولا بما أنزل على من قرآن فى ذلك ، فاعلموا إذن أن ما جاء فى القرآن عن الذين لا يؤمنون بالحق فهو يشير إلى أهل مكة

الذين لم يريدوا الإيمان إلا بحد السيف ، وأنه حيث يتحدث القرآن عن المؤمنين بالحق فهو يشير إلى أهل المدينة ، لأنهم هم الذين آمنوا وصدقوا بالحق لما جاءهم من كل قلوبهم .

الفصل الخامس والثمانون :

وبعد ذلك ، فإن الغالبية العظمى من قريش آمنوا بكلماتى ، وبما قلت لهم عن القافلة ، ورجونى أن آمر بأن تكتب كل تلك الأشياء لتكون شهادة وذكرًا لمن يأتى من بعدى ، وطبقًا للاتفاق المشترك معهم فقد أمرت أبا بكر وابن عز (؟) أن يكتبوا ما حدث لى وما سيحدث من بعد ، وكان الاثنان صالحين ومؤمنين موثوق بهما عرفا بالسمعة الطيبة والذكر الحسن ، فاستجابا لرجائى بفرح عظيم وسرعة فائقة ، وكتبا فى هذا الكتاب المسمى بالمعراج ما حدث لى كلمة كلمة .

وقد كتب هذا الكتاب فى السنة الثامنة من بعد أن نزلت على روح الله وصرت نبيا . أما نحن أبا بكر وابن عز ، فنشهد بضمير مستقيم وقلب سليم أن كل الأشياء التى قالها محمد حق وصدق ، وأن على كل من يسمع روايتها أن يؤمن بصدقها وأنها حدثت بالفعل كما سجلت وستسجل فيما بعد .

(انتهى)